



البَّاعِثُ إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ

مجلة إسلامية شهرية جامعية

- العدد الخامس
- المجلد الرابع والخمسون
- محرم وصفر ١٤٢٠ هـ
- يناير وفبراير ٢٠٠٩ م

- الأزمة العالمية المالية بين التقليد والتأصيل في ضوء مرتقبات الخبراء الاقتصاديين
- بحثون إسلاميون لمركب النقص
- البيان الثاني: مفهومه ووسائله
- مسائل فقهية وشرعية
- الكتاب المقدس من الظلامات إلى النور
- زكاة النقدين
- وضع السريح لسرف قصيدة نسيج البردة

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب. ٩٣، لكونا، أتراباراديش (الهند) الفاكس: ٢٣١-٢٧٤١٢٢١، ٢٧٤١٢٢١-٥٢٢-٥٥١

Albaas-el-Islami, Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow-226007 U.P. (India)
Fax : 0091-522-2741221, 2741231 e-mail : nadwa@sancharnet.in

(Vol. 54, Issue-4)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

(Dec. - 2008)



١٩٨١ - ١٤٢١

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

سلسلة دراسات في العقيدة (٥)

المفاصد الخاتمة للشريعة الإسلامية

د. يوسف حماد العالم

يطلب:

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

هيرندين - فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية



نَدْوَةُ الْعُلَمَاءِ

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر ، وأن يزداد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي^ر)

أنشأها :
فقد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني
- رحمة الله تعالى -
في عام ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي

واضح رشيد الندوبي

المحلد الرابع
والخمسون

العدد الخامس

محرم و صفر ١٤٣٠ هـ
يناير و فبراير ٢٠٠٩ م

العقبري العاصمي!

العقبري العاصمي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمتنا وبالرغم مما ينفع عملياً وما ليس عليه طابع غرب أو شرق إنما هي علوم تجريبية طبيعية وينفصل عن كل ما يأخذ من الغرب غالباً لصوته في القرن المظلمة وفي عصر الثورة على الرسم وفي حالة توسيع أعصابه وقلقه نفوسه يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإسلام والعمان للدين ومن النتائج الفاطنة ويطعمها بالإحسان بفاطر الكون وعده ويتفتح منها نتائج أعمق وأوسع وأعمى وأكثر سعادة للإنسانية مما هو مصل إليه أساساً فيها الغربيون .

العقبري العاصمي الذي لا ينظر إلى الغرب كيام و زعيم خالد وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم إنما ينظر إلى الغرب كزميل جنوبي وكفرن غافر في بعض العلوم الممارية والمعاتية فيأخذ منه ما فاته من التجارب ويفيض عليه بدوره ما سد به من ثرات النبوة . ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً وبما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضى لما يتعلم هو من الغرب والشرق وقوى بذلك وجمعيه بين مسنان الغرب والشرق وقوى الرومانية والممارية - منهجاً جديداً يجدد بالغرب تقليده وتقديره ويرضي إلى المدارس الفكرية والمناهج المضاربة مدرسة جديدة تستحوذ كل عناية ووراثة وتقليد واتباع .

هذا هو العقبري العاصمي الذي لا يزال مفهوماً في صفوف القارة والزعامة في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم . وهذا هو العمالق حقاً الذي يجدون في جانبه القادة المقلدون المطبقون . صغاراً متواضعين كالآذفان .
(سماحة العطامة الندوية رحمة الله)

الاشتراكات المسروقة

* في الهند

ثلاث مائة روبيه ٣٠٠ / ..

ثمن النسخة : ٣٠ / روبيه

+ + + + + + + + +

* في العالم العربي

وفي جميع دول العالم :

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي ،

أما البريد العادي فهو ملفي بصفة رسمية

+ + + + + + + + +

المجلة غير ملتزمة

بكل فكرين شرفها

مُعْلَمَةُ الْبَرَاسِلَاتِ

ترسل الاشتراكات بالشيكي

باسم: "البعث الإسلامي"

AI-BAAS-EL-ISLAMI

A/C No. 10863759846 (SBI Lko Main Branch)

وَالْمَلَكُ بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ص.ب. ٩٣ لكانا (الهند)

AI-BAAS-EL-ISLAMI

Majlis Sahafat, Wa Nashriyat

P.O. Box No. 93, Lucknow

U.P. Pin 226007 (India)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT

P.O. Box : 93, Taigor Marg, LUCKNOW

Pin : 226 007 U.P (INDIA)

e-mail : nadwa@sancharnet.in

Fax: 0522-2741221/2741231

البراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب. ٩٣ - لكانا (الهند)

الفاكس : ٢٧٤١٢٢١ - ٥٢٢

مكتوبات العدل

الافتتاحية

الازمة العالمية المالية بين التقليد والتاصير في ضوء مرجئيات الخبراء الاقتصاديين

منذ عدة أعوام مضت طلعت نظرية جديدة على العالم البشري باسم "العولمة" كانت مثار تساؤلات عن مفهومها ومعناها ، وعن الهدف الخاص الذي تتبناه هذه النظرية الجديدة ، وقد اقتتنى المتسائلون بأنها رؤية إنسانية شاملة ، تستهدف توحيد العالم في جميع المجالات الحيوية على مركز واحد ، لكي تتضادر الجهد على بناء الإنسان ، ولم يكن ذلك إلا عنواناً للنظام العالمي الجديد ، الذي نادى به الغرب من مدة ، مستهدفاً إقامة الشعوب والمجتمعات كلها ، ولا سيما الأمة الإسلامية تحت لوائه وسيطرته ، بحجة أن النظام الإسلامي للحياة لم يعد صالحًا للتطبيق في عصر قطع فيه العلم الحديث أشواطاً بعيدة في واقع الإنسان والكون ، لذلك فإن المجتمعات البشرية كلها تتطلع إلى نظام عالمي جديد يسعها في هذا الخضم الحضاري ، وينقذها من تعقد الحياة وتجمد النشاط ، حتى لا يرجع العالم البشري رجعة القهقرى إلى الوراء ، فتفوته ثمار العلم والتقنية ، ويضمن حل العمل الإبداعي من جميع النواحي .

بمثل هذه الأضاليل والتعليلات الخداعية توسيع المجال لقبول "العولمة" ، وتمهد الطريق إلى الترحيب بهذه النظرية الجديدة الخلابة ، والواقع الذي كان يختفي وراءها ، إنما هو تصحيح المسيرة الاقتصادية ، وتوحيد الأسواق التجارية العالمية ، وكان الغرض من كل ذلك السيطرة الكاملة على جميع الجهات الاقتصادية في العالم ، والاستيلاء على منابع البترول ،

٤٥ ج ٥٤ محرم وصفر ١٤٣٠ هـ

بيان وقرار ٢٠٠٩

٣/٣

الازمة العالمية المالية بين التقليد والتاصير
في ضوء مرجئيات الخبراء الاقتصاديين

البيان القرائي : مفهومه ووسائله
ما قبل في ماء زرم

التوجيه الإسلامي :

سعيد الأعظمي الندوى

الأستاذ الدكتور عودة خليل أبو عودة

سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر

الدعوة الإسلامية :

الدكتور خليل الدين شجاع الدين

هذا يخرج المرء من الظلمات إلى النور
اشتغال سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوى (رحمه الله)

الدكتور محمد أنظر الندوى

دراسات وأبحاث :

البروفيسور محمد اجتباء الندوى رحمه الله

الأستاذ رياض الدين عالم

الفاعل الثقافي والأدبي بين الهند والعرب
اتجاهات في العبرات والنظارات

كترة حوادث الزلازل والبراكين وخسف الأرض ، دراسة في
الأحاديث النبوية والدراسات الجيولوجية الحديثة

الفقه الإسلامي :

الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد

الأستاذ تاج محمد خان الأهرى

المديح النبوي :

الأستاذ الدكتور غريب جمعة

وضح النهج لشرح قصيدة نهج البردة
يهاربون الإسلام لمركب النقص

صور وأوضاع :

الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوى

باقلام الشباب :

الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوى

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ عبد الرحمن الجانينكى (أيفال) في ذمة الله تعالى

فضيلة الشيخ محمد خليل إلى رحمة الله تعالى

الشيخ إمام مهدي والشيخ أصغر على في ذمة الله تعالى

شفقة الشيخ فضل ربي الندوى إلى رحمة الله تعالى

العنشن عبد السميع في ذمة الله تعالى

الأستاذ الحاج أنيس الرحمن (عليق) إلى رحمة الله تعالى

فلم التحرير

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

تعالى في القرآن الكريم : **(يَمْحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِبِّي الصَّدَقَاتَ)**
(البقرة الآية / ٢٧٦) .

وقد قام خبراء الغرب الاقتصاديون بتحليل الأزمة المالية ، فتوصلوا إلى أن ذلك لم يكن إلا نتيجة لنظام الريبو ، الذي كان البنية التحتية للاقتصاد في جميع الدول الغربية وما كان على شاكلتها ، ومما يعلم الجميع أن الكنيسة الغربية قادت النظام الريبو من مدة طويلة ، فكان من الطبيعي أن يسير العالم الكنسي وراء هذا النظام في جميع تعاملاته ، ومعاملاته الاقتصادية والتجارية ، ولعل هذه الأزمة كانت نتيجة الفكر المعادي للإسلام ، الذي تظاهر به البابا بنيديكت حول الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية ، ونبي الإسلام الخاتم الذي ليس بعده نبي ولا رسول ، إنما هي التوجيهات السماوية التي نزل بها القرآن الكريم ، كما كان لتصريحات الرئيس الأمريكي الراحل أثر كبير في هذه الكارثة التي تحولت إلى كارثة عالمية ، وخسرت فيها الشعوب والأسواق التجارية ، والمؤسسات التأمينية ما خسرت من التوازن المالي وتوزيع الثروة بفوضوية منقطعة النظير ، أودى الركائز المالية وبلغ بها إلى الهاوية .

فهل يعقل سيادة البابا ١٦ وفخامة الرئيس دورهما في هذه الأزمة المشئومة وفي هذا الإفلاس الشائن ١٩

وبدأ العالم يرتجع بعد هذه العبرة بما أدى إليه النظام الريبو والتغلغل فيه إلى ما ليس بالحسبان ، إلى دراسة النظام المالي في الإسلام وتوزيع الثروة فيه ، على أساس العدالة الاجتماعية ، وقد توصلوا بعد دراسة إيجابية موسعة عميقه ولا سيما بعد ما أبدى رأيه الأخير فخامة الرئيس الأمريكي حول الأزمة قائلاً : إن قطاعات كبرى في النظام المالي الأمريكي

التي وجدت في العالم الإسلامي ، وبلدان المسلمين في الشرق ، فقد كان لعب الغرب يسيل على الذخائر البترولية والمعدنية التي كانت تزخر بها حقول العالم الإسلامي ومنذ العثور عليها بدأ يتربص الغرب الفرص لشن الغارة عليها ، بطريق إيداع مال العرب في بنوكها كأمانة بعنوان "استثمارات منوعة" تفتح أبواباً واسعة للأرباح المالية ولم يكن ذلك إلا خداعاً وتضليلاً للقادة والحكام المسلمين ، وهناك ظهرت العولمة لتحقيق نوايا سيئة كانت تختفي وراء هذه النظرية ، ولكنها تبدو كأنها باءت بالفشل ، ولم يكن لها تأثير في الاقتصاد العالمي الذي كان من المتوقع أن يكون مبعثاً لرفاهية الحال ورغادة العيش ، كما كانوا يظنون أن هذه العولمة تمهد الطريق إلى إنقاذ العالم من الفقر والبؤس ، ولكن رغم الانتظار الطويل لم تتحقق آمالهم ، بل الواقع أن هذه النظرية المادية أورثت زيادة في الفقر والشقاء ، وأدت إلى إفلاس البنوك والمصارف في الولايات المتحدة .

وقد أفادت الأنباء العالمية أن أمريكا وما والاها من البلدان تعيش اليوم أزمة اقتصادية ، وقد أعلنت مؤسسات مالية فيها بإفلاسها وإغلاقها ، وبات الشعب الغربي يعيش أزمة اقتصادية ووظيفية كبيرة ، ويواجه خسارة تجارية لا مثيل لها ، مما دفع الحكومة الأمريكية إلى استدانة من الدول العربية والخليجية لسد الخسائر المالية وإزالة الأزمة الاقتصادية التي تعيشها دول الغرب والولايات المتحدة بالذات ، مع العلم بأن العولمة فتح آفاقاً جديدة للتعامل الريبو ، من غير استثناء ، وذلك هو السبب الرئيس في المعاناة الاقتصادية ، والأزمة المالية العالمية ، التي غزت أسواق العالم ، وسببت الخسائر المالية التي تعيشها بلدان العالم اليوم ، وصدق عليها قول الله تعالى

يمكن أن تسقط ، وإن مزيداً من المصارف (البنوك) يمكن أن تفلس ، ومزيداً من الشركات قد تغلق أبوابها ، وملائين الأميركيين يمكن أن يفقدوا وظائفهم ، وكان قد تبا "بير شتاين" وزير المالية الألماني بآن الأزمة المالية العالمية الراهنة ، ستفقد الولايات المتحدة مكانتها كقوة عظمى ، وستترك آثاراً عميقاً ، والعالم لن يعود أبداً إلى ما كان عليه قبل الأزمة ، وهذا "رولان لاسكين" رئيس تحرير صحيفة "لوجورناد فيناس" في افتتاحية صحفته ، طالب بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في المجال المالي والاقتصادي لوضع حد لهذه الأزمة التي تهز أسواق العالم من جراء التلاعب بقواعد التعامل ، والإفراط في المضاربات الوهمية غير المشروعة كما وعرض "لاسكين" لإنقاذ العالم من الوضع المنهاز سلسلة من المقترنات المثيرة ، في مقدمتها : تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية ، برغم تعارضها مع التقليد الغربي ، ومعتقداتها الدينية . وقد أصدرت الهيئة الفرنسية العليا للرقابة المالية قراراً يسمح للمؤسسات والتعاملين في الأسواق المالية بالتعامل مع نظام الصكوك الإسلامي في سوق المنظمة الفرنسية ، والصكوك الإسلامية هي سندات إسلامية مرتبطة بأصول ضامنة مع مقتضيات الشريعة الإسلامية .

وقد صرخ آخرون بضرورة البحث عن خيارات بدائل للنظام الرأسمالي الليبرالي ، وذلك هو البديل الإسلامي ، وقد صدر كتاب للباحثة الإيطالية "لوريتا نابليوني" جاء فيه : إن التوازن في الأسواق المالية يمكن التوصل إليه بفضل التمويل الإسلامي ، وهي ترى أن التمويل الإسلامي هو القطاع الأكثر ديناميكية في عالم المال الكوني ، وأوضحت أن المصارف

الإسلامية يمكن أن تصلح المصالح للبنوك الغربية ، وجاء في مجلة "تشالينجز" Challenge الفرنسية : "نحن في الأزمة بحاجة أكثر إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل ، لفهم ما يحدث بنا وبمصالحنا ، ولو حاول القائمون على مصالحنا احترام ما ورد في القرآن الكريم من تعاليم وأحكام ، وطبقوها ، ما حلت بنا هذه الكوارث والأزمات" وكتب "يعقوب هايل برون" مراسلاً صحيفية "دير شبيجيل" الألمانية يقول : إن السقوط المالي والأخلاقي الأميركي الراهن لم يحدث بين عشية وضحاها ، وقال : إن حكومة بوش تميزت عما سبقها من حكومات بالوصول بمعدلات الإسراف إلى مستويات خيالية ، وتمرغ الاقتصاد وسمعة بلادها في الأوحال".

أما عدا هؤلاء الاقتصاديين هناك عدد من خبراء الاقتصاد المسلمين ، فهذا خبير الاقتصاد الإسلامي وأستاذ المحاسبة والمراجعة في جامعة الأزهر الدكتور حسين شحاته يؤكد أن هذه الأزمة المستحکمة أظهرت بوضوح أن الاقتصاد الإسلامي التكافلي غير الربوي هو الحل" والدكتور عبد الحميد الغزالى أستاذ الاقتصاد بجامعة القاهرة يؤكد أنهم لن يتغيروا إلا إذا أحسوا أن هذا النظام الربوي قاتل لهم ولا ينفعهم ، وعندئذ يقتعنون بفعاليات النظام الإسلامي ، أما الدكتور حمدى عبد العظيم أستاذ الاقتصاد والرئيس الأسبق لأكاديمية السادات للعلوم الإدارية ، يشدد على أن الأزمة المالية العنيفة التي تمر بها الولايات المتحدة انتقلت عدواها لدول العالم المختلفة ، ويقول : إن الأثر المباشر لتداعيات الأزمة المالية العالمية على العالمين العربي والإسلامي سينعكس على البورصة ، إضافة إلى الفساد والركود الاقتصادي بسبب ارتهان اقتصاديات الدول النامية بواشطن ، كما سيكون

بيان القرآن : مفهومه ووسائله

(الحلقة السادسة الأخيرة) بقلم : الأستاذ الدكتور عودة خليل أبو عودة (رئيس المكتب الائتماني في الأردن لرابطة الأدب الإسلامي العالمية)

خصائص البيان القرآني :

إن شواهد البيان القرآني كثيرة متنوعة ، ويمكن عند التأمل الجاد أن نستخلص عدداً من المزايا للتعبير وبيانه العالي ، ونجملها فيما يلي :

- ١- البيان القرآني بيان متكملاً ، يلتقي فيه الشكل والمضمون في بناء واحد متماساًك لا يمكن الفصل بينهما ، وهذا رد على هؤلاء الذين شغلوا الناس بقضية اللفظ والمعنى (١) ، وهو أيضاً رد على من يرى أن الإعجاز القرآني هو في بيته وليس في مضمونه (٢) ، ولا أدرى كيف يمكن الفصل بين التعبير والمضمون في أي نص ، قرآنًا كان أو غير قرآن ، أدبياً أو علمياً أو غير ذلك ، إن أي صوت يصدر عن أي مخلوق من مخلوقات الله تعالى فيه شكل ومضمون ، فيه لفظ ومعنى ، وانظر إلى دلالة الكلمة (لفظ) في القرآن الكريم ، حيث يقول الله عز وجل : «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا دِيَهُ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (٣) في مقابل قوله تعالى : «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (٤) فاللفظ هو كل صوت يصدر عن الكائن الحي ، والنطق هو النطق الإنساني يحمل دلالة واعية سامية عالية ملزمة لقائلها ، فالبيان القرآني بناء متكملاً يلتقي فيه اللفظ والمعنى في بناء متزوج امتزاج أعضاء الجسم الإنساني بعضها البعض ، ومضمون البيان القرآني هو التشريع الإلهي ، ولذلك فهو بيان ملتزم إضافة أنه في غاية الجمال في التعبير

(١) انظر في تفصيل المسألة كتاب أسر النقد الأدبي عن العرب . ص / ٤٧٧ وما بعدها .

(٢) اعجاز القرآن البشري . ص / ٦٥ وما بعدها

(٣) سورة ق . ١٨ .

(٤) سورة النجم . ٤-٣ .

تأثير على البنوك التي تتعامل مع البنوك العقارية الأمريكية ، وستتأثر أيضاً حركة الصادرات الأمريكية لأسواق أوروبا وأمريكا بالسلب . ويقول الخبير المالي الدكتور محمد عبد العزيز : إن نفقات حروب أمريكا الفاشلة في أفغانستان والعراق وال Herb التجارية مع الصين من أسباب الانهيار الأخير ، ويقول فرج عبد الفتاح أستاذ الاقتصاد ونائب مدير مركز البحوث والدراسات الأفريقية : إن الولايات المتحدة تعاني من مشكلات اقتصادية عديدة ، منها التضخم الذي تزايد ٤٪ ، والبطالة التي تشكل ٥٪ وعجز الميزانية واحتلال الميزان التجاري وتفاقم المديونية الخاصة وال العامة كلها من علل النظام الرأسمالي الربوي . إن الاقتصاد الأمريكي يمر بحالات غير مسبوقة من التأثر المالي في كبرى شركاته .

هذا غيض من فيض مما تتضمنه الشريعة الإسلامية من نظام مالي عادل ، يتفق وطبيعة الإنسان في كل زمان ومكان ، فهو الذي يحتوي على ضمان النجاح والتوازن في الأرباح ، فيما إذا طبقت قواعدها على جميع نظم التمويل ، سواء بواسطة البنوك والتجارة بأنواعها ، أو التدابير ، فكل ذلك مصحح به في الشريعة الإسلامية ، التي هي قائمة على أساس الكتاب والسنة ، ليس غير .

(اقتطفنا بيانات الاقتصاديين من مجلة "المجتمع" الكويتية الغراء العدد (١٨٢٢) مع الشكر).

(والله يقول الحق وهو يهدى السبيل)

سعید الأعظمی

١٤٢٩/١٠/١٧

حرفاً بل نقطة لكي يفسدوا اجماع الناس ، مثل ما فعلوا في تلك الطبعة من المصحف الشريف ، ولا أقول من القرآن ، دسوا تحت كلمة (عسى) في قوله تعالى في سورة الإسراء **﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾**^(٥) نقطة لتقرأ (عيسى) ، وعند ما تنبه لها الناس جمعت الطبعة من أنحاء الأرض ، وعم على الناس فسادها وعدم التعامل بها ، ثم وجدت طبعة جديدة ظهر أنَّه حذف منها كلمة (غير) من قوله تعالى في سورة آل عمران **﴿وَمَنْ يَتَّبِعُ غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**^(٦) .

وإن المحاولات المستمرة ، والدعوات المستمرة لتشويه اللغة العربية وإبعادها عن أهلها ، وإبعاد أهلها عنها ، هي جهود خبيثة حابطة تحاول النيل من صدق القرآن الكريم وكماله ، وهذا هو معنى الالتزام الذي ينبغي على الناس أن يستمدوا من الصدق المطلق في القرآن الكريم ، ومن التزامه بالمضمون السامي الذي هو في الأصل التشريع الإلهي لكل أهل الأرض في رسالة الإسلام الخالدة .

البيان القرآني مهذب راق يعلم المرء كل شيء ، وكل ما يتعلق بحياته في شؤونه كلها ، حتى الحالات الخاصة منها ، يعرضها بأسلوب رفيع ، موجز ، يسمو بالعواطف ولا يثير الغزائر ، إن القرآن الكريم يلخص المشاهد العديدة ، والحوار الطويل بين الرجل والمرأة في أكثر المواقف خصوصية وسرية ، يلخصها بكلمة أو كلمتين ، يفهم السامع منها كل شيء ، ولا حاجة له بعدها بالتفاصيل التي لا يراد منها - في بعض الأعمال الأدبية ، شعرها ونثرها - إلا إثارة الغزائر وهياج الشباب في تخيل ما تحمله المشاهد وحمل الحوار من تصرفات لا تغنى العمل الأدبي ، ولا تفيد القارئ بشيء .^(٧)

- تأمل في قوله الله عز وجل في سورة يوسف **﴿وَرَأَوْدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَذَ اللَّهُ﴾**^(٨) إن

والتأثير .
٢- البيان القرآني بيان فريد ، جديد ، خالف عن كل ما يعرفه العرب وغير العرب من فنون القول ، فليس هو بالشعر ، ولا هو بالنشر ، ولا هو بالسجع ، ولا هو بلغة الكهان ، ولا هو بأي شيء مما كان العرب ، بل مما كانت الأمم ، تعرفه في أدابها وفي فنونها الاجتماعية ، والنظر المتدرس في القرآن الكريم ، في أصواته ، وكلماته وأياته يرى ذلك بكل اليقين ، ثم النظر إلى تصرف القرآن الكريم من خلال هذا الشكل المتفرد في أنماط اللغة وأحكامها النحوية التي عرفت بل وضعت بعد نزوله ، وقد كان القرآن الكريم الأساس الأول لبنائها وهندستها ، انظر إلى السور الكثيرة الطويلة تنتهي بفعل مضارع مرفوع بثبوت النون ، تتدخل معها فواصل آيات تنتهي بجمع المذكر السالم المرفوع أو المنصوب أو المجرور ، كsurah البقرة وأل عمران والمائدة والأنعم والأعراف والأنفال والتوبة وغيرها ، وتلحظ في سياق هذه الآيات فواصل أخرى قليلة تأتي على غط لغوی وحكم إعرابي غير ذلك ، فلا تحس بالتغيير في الأداء العام ، ولا يتغير عليك الإحساس بحمل ما تسمع أو تقرأ وتكامله وانسجامه ، ثم تأتيك سور عديدة كل فواصل آياتها منصوب ، وهذا أمر عجيب ، اقرأ النساء واقرأ الكهف واقرأ مريم والأحزاب والجن وغيرها ، ولتحاول امرأة أن يجعل مقالة قصيرة له على نسق واحد من أحكام النحو ، إن هذا خارج عن نطاق القدرة الإنسانية .

٣- البيان القرآني بيان صادق الصدق كله ، محكم الأحكام كله ، فلن تجد فيما يرويه من معان ودلائل أو أخبار السابقين واللاحقين ، أو أحكام الدنيا والدين ، لن تجد فيه إلا الصدق الصراح ، سواء فيما أخبر به أو أمر به ، وهذا الأمر هو الذي قهر الأعداء ، وغلب المعارضين والمنكرين وأهل الاحاد ، وكم حاول أعداء الله على مر القرون أن يدسوا في القرآن الكريم ما يثير حوله الشكوك والاضطراب ، فخاب رأيهم ، وضاع مسعاهم ، وفي العصر الحديث تطبع طبعات فاخرة من المصحف الشريف يدسون فيها

في هذه الآية من الأحداث ما يمكن أن يؤلف قصة كاملة ، أو رواية طويلة عند ما يريد الكاتب أن يفصل القول فيما تعنيه هذه الكلمة الساحرة المعبرة (وراودته) وهي من الفعل أراد ، وتفيد في صيغتها الاستمرار والحرص والإلحاح في الطلب ، ثم تدبر قوله تعالى (وقالت هيـت لك) ، ولعل هذه الكلمة أن تكون الكلمة الوحيدة في اللغة التي يمكن أن تؤدي هذا المعنى بهذا التعبير الذي لا نهاية لدلالته .

نتعلم من البيان القرآني الأدب والذوق وعفة اللسان وصفاء التعبير في كل شأن من شؤون الحياة ، في أمور العمل والوظيفة ، وفي الحوار بين الناس وفي العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، والسائل المسؤول ، في كل مناسبة ، وفي كل بيت وفي كل ما يلزم من شؤون الحياة في دروبها المتعددة .

البيان القرآني تتنوع فيه أساليب التعبير بين السرد والوصف والقصة والمثل والخوار والعرض ، وكل ما يتخلل ذلك من أساليب التعبير عن مشاعر الإنسان في المواقف المختلفة من مدح وهجاء وتعجب وتهكم ونداء واستفهام وأمر ونهي وما إلى ذلك من اشكال التعبير ، وكل ذلك يجري في نسق منتظم ، ومستوي ثابت في الفصاحة والبيان ، وإن كل هذه الأشكال الأدبية ، كما تسمى في النقد الأدبي ، كلها تعمل على إبلاغ التشريع الإلهي في أكمل تعبير وأجمله فالقصة - مثلاً - أسلوب من أساليب الدعوة ، وهو أمر ملحوظ في القرآن الكريم ، ولو تتبعنا الآيات الكريمة التي وردت فيها هذه المادة لوجدنا أنها تدل على أن القصة هي أسلوب في الدعوة ، ومنهج من مناهج التبليغ ، يقول الله عز وجل : **﴿فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** (٨) .

ويقول سبحانه : **﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاضِلِينَ﴾** (٩) .

(٨) سورة الأعراف ، ١٧٦ . (٩) سورة الأنعام ٥٧ .

ويقول سبحانه : **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** (١٠) .

وقد نفيـد من هذه الملاحظة أن الأدب بكل فروعه وفنونه يمكن أن يكون أدباً ملتزماً يتناول كل شأن من شؤون الحياة ولكن بالصدق والصراح ، والتعبير السامي ، والفن الرفيع الذي نتذوقه ونتعلمـه من آيات القرآن الكريم .

البيان القرآني قام في البداية على السـمـاع ، ومن المعـرـوف أن بداية الوحي كانت في غار حراء حيث كان النبي - ﷺ - "يتحـنـث في الليـالي ذـوات العـدـد ... فـجـاءـهـ الـمـلـكـ ، فـقـالـ : "أـقـرـأـ" فـقـلـتـ : مـاـ أـنـاـ بـقـارـئـ فـقـالـ : **﴿أـقـرـأـ بـاسـمـ رـبـكـ الـذـيـ خـلـقـ﴾** ... (١١) وهذا يـدـلـ علىـ أنـ قـرـاءـةـ الـاستـمـاعـ هيـ إـحـدىـ أـنـوـاعـ الـقـرـاءـةـ ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـ كـثـرـاـ مـنـ أـهـلـ التـرـبـيـةـ لـاـ يـعـدـونـهاـ كـذـلـكـ وـيـكـفـونـ بـالـقـرـاءـةـ الـجـهـرـيـةـ وـالـقـرـاءـةـ الـصـامـتـهـ ، وـيـدـلـ أـيـضـاـ عـلـىـ أـنـ الـاستـمـاعـ الصـحـيـحـ أـسـاسـ لـتـعـلـمـ الـقـرـآنـ وـقـرـاءـتـهـ كـمـاـ أـنـزـلـ ، وـأـنـهـ إـذـاـ لـمـ يـقـرـأـ كـمـاـ أـنـزـلـ ، كـمـاـ اـسـتـمـعـ إـلـيـهـ رـسـوـلـ الـلـهـ - ﷺ - فـإـنـهـ يـتـشـتـتـ فـيـ الـبـلـادـ ، وـتـغـيـرـ أـصـوـاتـهـ مـعـ الزـمـنـ ، وـيـتـهـيـ أـمـرـهـ ، وـهـذـاـ فـإـنـهـ يـجـبـ الـحـرـصـ عـلـىـ تـلـوـةـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـتـرـتـيلـهـ كـمـاـ أـنـزـلـهـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ ، وـهـذـاـ الـأـمـرـ مـؤـكـدـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ فـيـ سـوـرـةـ الـمـزـمـلـ **﴿وـرـتـلـ الـقـرـآنـ تـرـتـيلـاً﴾** (١٢) ، وـهـذـاـ أـمـرـ إـلـهـيـ كـبـيرـ لـأـنـهـ يـمـثـلـ الـمـنـهـجـ الـإـلـهـيـ فـيـ حـفـظـ الـقـرـآنـ ، وـلـوـ لـهـذـاـ التـرـتـيلـ الـإـلـهـيـ الـمـوـحـدـ لـقـرـأـ كـلـ اـمـرـيـ الـقـرـآنـ بـلـهـجـةـ قـوـمـهـ ، وـبـطـرـيقـتـهـمـ فـيـ الـبـنـطـقـ ، وـلـاـ كـانـ طـرـائقـ النـطـقـ عـنـهـمـ مـخـلـفـةـ ، فـإـنـ قـرـاءـةـ الـقـرـآنـ سـتـكونـ مـخـلـفـةـ مـنـ بـلـدـ إـلـىـ آخـرـ ، ثـمـ لـاـ تـلـبـثـ أـنـ تـصـبـ هـجـاتـ لـاـ صـلـةـ لـأـحـدـاـهـ بـالـأـخـرـ وـلـاـ يـفـهـمـهـاـ أـحـدـ مـنـ غـيـرـ أـبـنـائـهـ .

ولـذـاـ كـانـ تـعـلـمـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ بـوـسـاطـةـ الـإـسـمـاعـ الصـحـيـحـ وـالـاستـمـاعـ

(١٠) سورة النـمـلـ ٧٦ .

(١١) تـفـسـيرـ القرـطـبـيـ ، جـ / ٢٠ صـ / ١١٨ .

(١٢) سورة المـزـمـلـ ٤ .

من أجل الفوائد التي يمكن أن يقوم بها أي مركز تعليمي أو أي مؤسسة تربوية تعمل على تنمية الأجيال .
وبعد .
إن المرء ليحس في نهاية المقال ، أنه لم يقل شيئاً بعد .
وقد :

قلنا ونرجع بعدها ونقول
فإن أحاديث البيان تطول

المصادر والمراجع

- الزخشري ، جار الله محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ ..
- شوقي ، أحمد ، الشوقيات ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، دون تاريخ .
- الضبي ، الفضل بن محمد بن يعلى ، المفضليات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ .
- طبانة ، د. بدوي . معجم البلاغة العربية ، دار المنارة ، جده ، ودار الرفاعي ، الرياض ، الطعة الثانية .
- الطناхи ، محمود محمد ، مقالات محمود الطناхи ، دار البشرى الإسلامية ، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م .
- العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري بشرح البخاري ، دار الفكر للطباعة والتوزيع .
- العسكري ، أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل ، كتاب الصناعتين : الكتاب والشعر ، حقه وضبط نصه د. مفید قمیحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ .
- أبو عودة ، د. عودة ، شواهد في الإعجاز القرآني ، دار عمار ، عمان ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .
- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- المعجم الوسيط ، إعداد مجتمع اللغة العربية بالقاهرة ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع .
- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، الدار المصدриة للتأليف والترجمة .
- ابن هشام ، محمد بن عبد الملك ، سيرة النبي ، راجع أصولها .. محمد محبي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨١ م .

الملائكة أولاً، ثم أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، وآخرهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

كما لم يكن للكاتب أيضاً اطلاع فيما كتب حول زمزم، من مصادر موثوقة، وما قامت به الدولة السعودية، في عهدها الميمون، من أعمال حول زمزم والتوسع التاريخية للمسجد الحرام، والمسجد النبوى وترميم وصلاح ماطرء على الكعبة، وجهودها حول زمزم، وما أنفقت في سبيله، فمثلاً الكاتب يقول:

- ١ عن الكعبة: بأنه أول بيت في العالم شيله إنسان.
- ٢ وبمرور الزمن وبعوامل الطبيعة تهدم هذا البناء.
- ٣ كاد أن يندرس لو لا آثاره التي في قواعده وأأسسه.
- ٤ عمل إبراهيم وولده إسماعيل على تنظيف هذا البيت.
- ٥ أخذت عائلة إبراهيم تجوب الوادي بحثاً عن الماء.
- ٦ اتجهت السيدة هاجر صوب منطقة محصورة بين جبلين.
- ٧ فكأنما أشعرها قلبها بأنها ستجد الماء في هذه المنطقة.
- ٨ جلست لتنكس التراب بيديها كردة فعل.
- ٩ فإذا بالماء ينتبه من بين أصابعها، وهي غير مصدق.
- ١٠ ولعطفها أخذت الزمزم من هذا الماء وشربت حتى ارتوت.
- ١١ فكان الماء يزداد كلما ازداد عدد مستعمليه.
- ١٢ لم تقطع أو تضعف منذ انتباها حتى اليوم.
- ١٣ ذكر أن رجال الدين المسلمين تصوروا أن لتزير والمياه تتشرب لزمزم.
- ١٤ فتقدمو بشكایات واقتراحات للحكومة لحماية ماء زمزم.
- ١٥ استجابت الحكومة لهم فخفرت خنادق وآباراً عميقه حول البئر

ما قيل في ماء زمزم

بقلم: الأستاذ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" - الرياض)

تحدث إحدى الصحف الإسلامية الصادرة في دولة عربية، عن زمزم تحت تخط عنوان: حقائق عن زمزم، في أحد أعدادها لشهر محرم الحرام ١٤٢٦هـ، وقد جاء الكاتب بالعجائب، التي لم يستند لها مصدر حتى تكون العهدة على ذلك المصدر، حين يرجع إليه القارئ، فيجد الكاتب أميناً في النقل، أما إذا أعاد مصدر بدون توثيق، فإنه يكون مختلفاً المعلومات من جعبته.

وهذا ما يصح أن نطلق على ذلك الكاتب، الذي لم نرد تسميته، وإنما نشير إلى نماذج مما قال ليعرف ذلك القارئ، وليدرك المعارف بزمزم، والمصادر الشرعية والتاريخية المرصودة عنها، حقيقة المعجزة التي خص الله بها هذه البئر، وما فهمه علماء الإسلام، من فحوى النصوص، التي لا مبالغة فيها، ولا قبلأ للحقائق التي أسبغها الكاتب كنوع من الهالة التي جعلها ثوباً فضفاضاً على ماء زمزم، والمسلم مأموم بالتزام الوسطية: لا إفراط ولا تفريط.

ولأن الكاتب، بنى رأيه على النظريات المادية في عرف البشر، فإنه كما سوف يرى القارئ من عرض نماذج من أقواله - دون استقصاء -: الفارق بين ما بنى عليه في عرضه، مما يدور حول زمزم، وبناء الكعبة، وبين ما تبحث من نصوص شرعية، وفهم علماء الدين الإسلامي لوقائع الأحداث، أن بعض ما ذكره لم يكن له أساس من الصحة، أو يتعارض مع المعمول والمنقول، حيث لم يذكر شيئاً عن الوحي الإلهي الذي أدى أمانته:

والمسجد .

بعد جهود مضنية والتقنيات الحديثة لم يعثروا على الحق .

-١٦ وصلت نتائج فحص الماء من فرنسا وألمانيا ومصر تثبت نقاوة الماء .

-١٧ شكلت الحكومة لجنة لدراسة البئر ومصادر مائها فنياً .

-١٨ تبين للجنة بأن البئر الحالية مستطيلة ضلعه ١٨ قدماً وعرضه ٨ أقدام .

-١٩ كلف أحد الخبراء التقليء بالنزول فاغتنسل وتعرف .

-٢٠ بعد الضخ أيقن الجميع أن الماء يأتي من أقنية شعرية غير منظورة .

-٢١ ينتقل ماء زمزم إلى المدينة بأنابيب متصلة بين مكة والمدينة .

-٢٢ ولن أرد على كل حالة مما ذكر ، وإنما أشرك للقارئ حكمه بعد ما

أورد ما جاء في كتب الحديث المعتبرة ، حيث اهتم المحققون بالأحاديث

الواردة في ماء زمزم ، كما في كتب الحديث الستة : الموطا والبخاري ومسلم ،

وأبو داود والنسائي والترمذى ، التي حوت معظم ما صح عن رسول الله

، وجمعها ابن الأثير في كتابه : جامع الأصول الذي طبع في أحد عشر

مجلداً غير الفهارس ، ولم يرد فيه عن ماء زمزم إلا ثلاثة أحاديث :

الأول : عن ابن عباس قال : سقيت رسول الله من زمزم ، فشرب

وهو قائم ، وزاد في رواية : فحلف عكرمة ما كان يومئذ إلا على بغير .

الثاني : عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله أمر رجلاً من قريش ،

أن يأتيه بماء من زمزم إلى المدينة ، فذهب به من إلى المدينة .

الثالث : عن عائشة أنها كانت تحمل ماء زمزم ، وتخبر أن رسول

الله كان يحمله (جامع الأصول ٢ : ٤٢٦) .

وجاء في المعجم الأوسط للطبراني : حديث واحد عن جابر بثلاثة

أسانيد بعضها يفيد بعضاً ، وهو : "ماء زمزم لما شرب له" أرقامها ٢٨٢٧ ، ٨٥٢ ،

٤٠ - ج ٤ هـ محرم وصفر ١٤٣٠ .

ينابر وفبراير ٢٠٠٩ م ١٨ / ١٨

)، قال عنه الزرقاني في مختصر المقاصد الحسنة : حسن بل صحيح (١٢٦).

أما ابن ماجة في سنته بتحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، فقد جاء
بؤكـدـ حـدـيـثـ جـاـبـرـ ، إـذـ أـورـدـ حـدـيـثـينـ :

الأول : قال حدثنا علي بن محمد قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ،
قال : عن عثمان بن الأسود عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر قال :
كنت جالساً عند ابن عباس ، فجاءه رجل فقال : من أين جئت ؟ قال : من
زمزم ، قال : فشربت منه كما ينبغي ؟ قال : وكيف ؟ قال : إذا شربت منها
فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله ونفس ثلاثاً من زمزم ، وتضلع منها ، فإذا
فرغت فأشهد الله عز وجل ، فإن رسول الله قال : "إن آية ما بيننا وبين
النافقين ، لا يتضلعون من زمزم" .

الثاني : قال حدثنا هشام بن عمار ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ،
قال : حدثنا عبد الله بن المؤمل ، أنه سمع أبا الزبير يقول : سمعت جابر
يقول : سمعت رسول الله يقول : "ماء زمزم لما شرب له" (٢٠٩٧ : ٢)
الرقم (٢٠٩٧) وقال عنها الحـقـ : الأول : جاء في الزوائد : هذا اسـنـادـ صـحـيـحـ
وزـرـجـلـهـ ثـقـاتـ ،ـ وـالـثـانـيـ :ـ قـالـ عـبـدـ الـبـاقـيـ نـقـلاـ عـنـ حـاشـيـةـ السـيـوطـيـ :ـ هـذـاـ
الـحـدـيـثـ مـشـهـورـ عـلـىـ الـأـلـسـنـةـ كـثـيرـاـ ،ـ فـمـنـهـمـ مـنـ صـحـحـهـ وـمـنـهـمـ مـنـ حـسـنـهـ ،ـ
وـمـنـهـمـ مـنـ ضـعـفـهـ ،ـ وـالـعـتـمـدـ الـأـوـلـ وـهـوـ الصـحـيـحـ .

- أما ابن خزيمة : فقد أورد في صحيحه ، الذي حققه محمد الأعظمي :
فقد أورد في باب : استحباب الشرب من ماء زمزم ، بعد الفراغ من طواف
الزيارة من حديث جابر هذا المقطع : و قال : ثم أفض رسول الله إلى البيت
- يعني يوم النحر - فأتىبني عبد المطلب - وهم يسقوـونـ عـلـىـ زـمـزمـ -
فـقـلـ :ـ اـنـزـعـواـ بـنـيـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ ،ـ فـلـوـلـاـ أـنـ يـغـلـبـكـمـ النـاسـ عـلـىـ سـقـيـاـكـمـ
لـنـزـعـتـ مـعـكـمـ"ـ فـنـاـوـلـوـهـ دـلـوـاـ فـشـرـبـ مـنـهـ .ـ

رجلاً يزعم أنه مرسل من الله عز وجل على دينك ، فقلت : ما يقول الناس له ؟ قل : يقولون إنه شاعر وساحر وكاهن ، وكان أنيس شاعراً ، فقال : قد سمعت قول الكهان ، فما يقول بقولهم ، وقد وضعت قوله على ضروب الشعر ، فوالله ما يتلاءم على لسان أحد أنه شعر ، والله إنه لصادق ، وإنهم لكاذبون .

قلت : فهل أنت كافي حتى انطلق فانتظر ؟ قل : نعم فكن من أهل مكة على حذر ، فإنهم قد أبغضوه ، وتحمّلوا له ، قال أبو ذر : فانطلقت حتى قدمت مكة ، فتضيّفت رجلاً منهم ، فقلت : أين هذا الرجل الذي تدعونه الصابئ ... فأشار إلى وقال : الصابئ ... فمل أهل الودي علي ، بكل مدرة وعظم ، حتى خرت مغشياً علي .

فارتقطت حين ارتفعت كأني نسب أحمر ، فأتيت زمزم ، فشربت من مائها ، وغسلت عني الدم ، فدخلت بين الكعبة وأستارها ، فلبشت يا ابن أخي : ثلاثة من بين يوم وليلة ، وما لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمعت حتى تكسرت عکن يطني ، وما وجدت على كبدى أثر جوع .

وبينما كان أهل مكة في ليلة مقمرة ، فضرب الله على آذانهم ، مما يطوف بالبيت غير امرأتين ، فأتنا علي ، وهما تدعون أسف ونائلة : "صَنْمِينْ بِجُوارِ الْكَعْبَةِ" . فقلت : أنكحوا أحدهما الآخر ، فسألهما ذلك ، فانطلقتا تولوان ، وتقولان : لو كان هنا أحد من أنفارنا ، فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر ، هما هابطان من الجبل ، فقال : ما لكم ؟ فقالتا : الصابئ بين الكعبة وأستارها ، وبعد ما طاف رسول الله وصلى ، أتيته وحييته بتحية الإسلام ، وسائلني من أين ومتى جئت ، ثم قال : متى كنت هنا وما طعامك : فأخبرته أنه ماء زمزم وسنت عليه ، فقال رسول الله : إنها مباركة وإنها طعام طعم ، ثم استضافني أبو بكر عنده (٢٦٩: ٢٦٨) .

كما أورد عن ابن عباس : أن النبي شرب دلواً من زمزم قائماً ، وقل : قل أبو بكر : أراد شرب من الدلو ، ولأنه شرب الدلو كله ، وهذا من الجنس : أن اسم الجنس قد يقع على بعض أجزائه ، كقوله : (ولَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكْ) (الإسراء الآية / ١١٠) فأوقع اسم الصلاة على القراءة خاصة ، وأورد في باب : استحباب الاستسقاء من ماء زمزم ، أن النبي ﷺ قد أعلم أنه عمل صالح ، وأعلم أن لولا أن يغلب المستفي منها ، على الاستسقاء لنزع معهم ، وقل عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ جاء إلى الغاية فاستسقى قل العباس : اذهب إلى أمك فأتيت رسول الله بشراب من عندها ، فقال : "اسقني" فقل : يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه ، فقال : "اسقني" فشرب منه ، ثم أتى زمزم وهم يسقون ، ويعملون فيها ، فقال : "اعملوا فإنكم على عمل صالح" ثم قال : "لولا أن تغلبوا لنزعت حتى أضع الجبل على هذه" يعني عاتقه ، قال أبو بكر : هذا من الجنس الذي نقول : إن الإشارة تقوم مقام النطق (صحيح ابن خزيمة ٤ : ٣٥٧-٣٥) .

إسلام أبي ذر :

جاء في الفتح الرباني ، ترتيب مسند الإمام أحمد في فضائل أبي ذر أنه قل : خرجنـا من قومـنا غـفار ، و كانوا يـحلـونـ الشـهـرـ الحـرامـ ، أنا وأخـيـ أـنـيـسـ وـأـمـنـاـ ، فـانـطـلـقـنـاـ حـتـىـ نـزـلـنـاـ عـلـىـ خـالـلـنـاـ ، ذـيـ مـالـ وـذـرـيـ هـيـثـةـ ، فـأـكـرـمـنـاـ خـالـنـاـ وـأـحـسـنـ إـلـيـنـاـ ، فـحـسـدـنـاـ قـوـمـهـ ، فـوـشـوـاـ بـأـنـيـسـ ، فـصـارـحـ أـنـيـسـاـ ، فـقـلـتـ خـالـيـ : مـعـرـوفـ كـدـرـتـهـ ، وـلـاـ بـقـاءـ لـنـاـ عـنـدـكـ ، فـقـرـبـنـاـ رـوـاحـلـنـاـ ، وـاحـتـمـلـنـاـ عـلـيـهـ ، وـتـغـطـيـ خـالـنـاـ ثـوـبـهـ ، وـجـعـلـ يـبـكـىـ ، فـانـطـلـقـنـاـ حـتـىـ نـزـلـنـاـ بـحـضـرـةـ مـكـةـ .

وقد صليت قبل أن ألقى رسول الله ﷺ ، ثلات سنين لله ، وأتوجه حيث وجهني الله عز وجل ، فقل أنيس : إن لي حاجة بمكة ، فاكفي حتى آتيك ، فانطلقت وأبطأ على ، ثم أتاني فقلت : ما حبسك ؟ قال : لقيت

وما قصدت بتصوير خلفية أسرته إلا الإشعار بأن شيم برتاب سينغ المنحدر إلى أسرة عريقة ذات ثقافة وثروة، وعز تليد، قد دخل في حظيرة الإسلام لا مكرها باكراه ولا مدفوعاً بطبع، وإنما طلباً للحق حين شرح الله صدره للإسلام.

ولد يوم ٣٠ يوليو عام ١٩٦٤ من الميلاد، وشب كما شب بين ضلوعه - وهو ابن خمسة عشر عاماً - شعور فائز بتركيز الانتباه على معرفة خالق العالمين، يقول بنفسه: إن أسرتي لم ترشدني فقط إلى من يجب أن نعبد، إنما هي عادات تقليدية توارثناها أبا عن جد وظللنا عليها عاكفين، وإن الشعور المذكور هو الذي دفعني إلى التجوال في منتجمعات "الهندوسية" والتوغل في مضاربها فسألت عن تعليماتها أكثر من كاهن هندي فلم يحر أحد منهم جواباً، يفتقد ما يتجلج في خلدي من شبهات دراسة الكتب الدينية:

إنه ل كذلك سابع في مثل تلك الظنون إذ انصرفت عناته إلى دراسة كتب ديانته، فحينما سافر إلى مديرية "إله آباد" بولاية "يوبى" عام ١٩٧٨ من الميلاد لاستكمال الدراسة لمدة حولين كاملين طالع خلامها عدة كتب دينية: مثل "غيتا" (وهو حامل بحوال كرشن جي) و"رام جرت مانس" لمؤلفه تلسي داس، وهو مشتمل على سبعة أبواب: مثل: باب بدل، وباب أيودهيا، وباب أترو، وما إلى ذلك، إضافة إلى ما وقعت عليه يده في كشكوك الكتب من كتب صادرة عن "مطبع غيتا" بغور خفور، إحدى مديريات يوبى "ما أكسبه معلومات وافية عن المذهب الهندي".

ورغم ذلك كله لم تكن النطمأنينة لتعرف إلى قلبه سبيلاً؛ فلقد قال: لما رأيت في تلك الكتب نظريات متضادة دينية في صدد الآلهة الكثيرة عددها ٣٣٠ مليون، وفي صدد تناسخات الأرواح البالغ عددها ٨ ملايين، و٦٠٠ ألف، أحست بدبيب الخواج والشبهات إلى قلبي أكثر من ذي قبل، ووقعت في قلق واضطراب - كأنني أبحث عفوياً عن الإله الواحد الأحد بحثاً - وذلك ما لفت انتباهي إلى التوحيد والآخرة وما يكون بعد الممات،

هذا يخرج المرء من الظلمات إلى النور

بقلم: الدكتور خليل الدين شجاع الدين

(ابن بن بن ايس، مومنان ايم سي في ايس) (عيادة الحرم - الحرم المكي الشريف)

(الحلقة الأولى)

(كنت في الحج الأكبر عام ١٤٢٧ من هجرة سيد المرسلين ﷺ الموافق ٢٠٠٦ من الميلاد، والحرم المكي مكتظ بمالايين الحجاج وضيوف الرحمن ، وحلقات العلم بمعبرة هنا وهناك تتعجب بـ "قال الله تعالى ، وقل الرسول ﷺ" ، وأصوات التلبية تدوى كدوبي التحل في الفضاء ، فإذا أنا - في المطاف - برجل غريب وجهها لوجه ، لا يعرف أي واحد منا صاحبه ، ثم تعارفنا ، فإذا هو محمد عمر غوت ، الذي أسلم سنة ١٩٨٤ من الميلاد ، وقد تخرج في الإسلامية بشهادة الماجستير ، ولا يزال متذبذباً دؤوباً بالركض حيث السعي في حقل الدعوة والإرشاد ، فتاقت نفسي إلى معرفة تحوله من غوت إلى محمد عمر وما لقيه في سبيله من المتاعب والملمات ، فذكر لي ذلك بشيء من التفصيل ، فحررته ، وأنشره الآن تعليماً للفائدة) الدكتور خليل الدين شجاع الدين .

إن محمد عمر غوت سليل أسرة عريقة ملكية ، تقطن في منطقة "بنتها رموان" المجاورة لمديرية "فتح بور" بولاية يوبى ، الهند ، اسمه السابق شيم برتاب سينغ غوت ، واسم أبيه دهن راج سينغ غوت ، واسم أمه شاني سينغ غوت ، وقد دخلت - والله الحمد على ذلك - في حظيرة الإسلام قبل موتها ، له ستة أشقاء: أكبرهم أودي راج سينغ غوت يعمل مهندساً في "غازي آباد" إحدى مديريات ولاية يوبى الهند ، والثاني أودي برتاب سينغ يتولى وظيفة مرموقة في معمل الملونيم المشهور في "مرزا بور" إحدى مديريات يوبى ، والثالث أودي نات غوت يشتغل في ورشة حكومية تحت قسم الهندسة الريفية ، والرابع هو نفسه ، والخامس شري نات سينغ غوت ، يتوظف في شركة بي في أيل (النطاق العريض من خطوط الطاقة الكهربائية) في "غازي آباد" بولاية يوبى ، والسادس دهير و برتاب سينغ غوت يمارس مهنة التدريس في كلية حكومية بمديرية "كانبور" بولاية يوبى ،

ما جعلني كلما طالعت كتب الهندوسية خامرني شكوك تلو الشكوك . يقول غوتم : لقد شاهدت بعيوني رأسي في مجتمعاتنا الهندوسية فوارق عنصرية وتفاوتاً طبيقياً جائراً : فهذه طبقة البرهمية ، وتلك طبقة شترى ، والأخرى طبقة شودر وما إليها من طبقات متفاوتة ، يزعم كهنة البراهمة أنهم مرفوعون على درجات متعددة حسب ما في كتابهم الديني "ويد" من حيث لا يتلاءم شيء من ذلك مع طبيعتي ، إنما يعتلج في نفسي أن أرى برهماً أو سليل أسرة رفيعة يتفضل على غيره بلا عمل ولا فضيلة حتى يخشى بأسه ، ويخطب وده ، وأن أرى أي فرد من الطبقة الدنيا منبوذ شقي بلا ذنب ولا تقصير حتى تكرهه العيون وتزدريه ، فلم أزل بين هذه الشبهات متراجحاً كريشة في الفلاة تطيره الرياح كيف شاءت .

وتتابع يقول : كان في بيتنا عمل من طبقة شودر الدنيا ، لا يسمح لهم - بالمرة - بمجالسنا على الأسرة ، ولا بمواكبتنا على الموائد ، ولا بإدلاء الدلاء من آبارنا ، حتى ولو طلبوا ماءً يغترف لهم بالغرفة كالحيوان تماماً ، ولو أبطأتهم العذر في حضور ورشة عمل أو قضاء دين يلقون مالا يستحقون من ضربات العصي والهراوات ، مما جعلني أتفرج على ذلك تفرج الحاني والرائي ، وأتأكد من أن هذا الدين لن يهدي الإنسان الهدى الصحيح ، كيف وقد قام على مثل هذه الشبهات والفوارق والإمتيازات المخفة .

سوء الفهم للإسلام :

قال غوتم : ولما ارتقيت في مدينة "إله آباد" عام ١٩٨٠ من الدرجة المتوسطة إلى بي ايس سي في الزراعة ألفيت هناك في الجامعة مكتبة كبيرة فيها كتب قيمة طالعت منها مجموعة في مواضيع الفلسفة والدين ، والرجالات الأعلام ، كما قرأت ترجم كثيرة من رواد الإصلاح أمثل : بوذا ، وبرهم هنس ، وسوامي ووبيكانند ، وغاندي ، وجواهر لال نهرو ، ومن إلهم ، ولم يتفق لي أن أدرس شيئاً من الإسلام ، بل وقد تغلغلت في ذهني ع٥ - ج٤٥ محرم وصفراً ٢٠٠٩ .

- على العكس من ذلك - تصورات خاطئة سلبية عن الإسلام عن طريق التناقل والسماع ؛ فقد كنا نسمع منذ بواكير الصبا أن المسلمين يسبون الهندوس ، وأنهم حساد سفاكون وجديرون بالنبذ والإزداء ، وأن علينا نحن الهندوس أن نتجنبهم في الطعام والشراب والشئون الأخرى ، ألم من طفح صدره بمثل هذه العواطف الجياشة للموجدة والنفور ضد المسلمين يرغبه في الإسلام !! كلا .

إلى ربك فأنت وإياده فاستعن :

وفيما بين عام ١٩٨٠ إلى ١٩٨٢ من الميلاد ، وقد كان غوتم في السنة الثانية من "بي ايس سي" في الزراعة إذ خطر بياله أن يعتزل ما هو فيه ليروض نفسه على البحث عن الحق مسبحاً بالأوراد في الكهوف والجبال ، كما فعل "بوذا" تاركاً وراءه وجوه التنعم ومظاهر السُّؤُد ، ولبث أن طافت برأسه فكرة أخرى وهي أن ينهي دراسته فيرسل إلى أبيه شهادته مع كتاب يقول فيه : يا أبتي أتركني وشأنني ؛ فانا الآن ناشد للغاية التي ينطوي عليه وجودنا برموزه وأسراره ، ومول وجهي سطر النقطة التي تتمحور حولها حياتنا بجزونها ومنعر جاتها ، وسالك للطريق الذي يرضي رب عن يسلكه فينتهي به إلى دار السلام .

يقول : وما هو إلا أن تناوبتني الفكرتان حتى حز في نفسي أن المنية ربما تعالجني دون أن أصيّب الهدف المنشود ؟ فخير لي أن أحرز الحق قبل أن تفاجئني يد المنون ، وكأن هاتفًا في غيابة جب القلب ينادي : إن كنت تأبى إلا الحق فما لك لا تمد يد المسئلة إلى الذي لا "حق" إلا من عصارة فيضه ، ولا حقيقة إلا من إثارة علمه ، وهو عليم بما يجيش في الصدور ويتجلج في الأخلاق ، هنا لك خررت لمن فطرني ساجداً ، أدعوه أن يهديني إلى سواء السبيل ، وينجني من بؤرة الأمواج إلى قارب النجاة .

وأني كذلك أطفو وأرسّب بين الأواذن المصطحبة إذ حم الله القضاء بأن يوصلني إلى شاطئ الأمان والاستقرار ؛ مصداقاً لقوله تعالى (يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْتَ) ، وبذلك أصيّب قدمي بصدمة جارحة جعلتني

"إسلام ان فوكس" (الإسلام في المخمور) لمؤلفه الأستاذ حموده عبد العاطي ، و "إسلامك بليفس ايند تيجنفس" (عقائد الإسلام وتعاليمه) الصادر عن بريطانيا للأستاذ غلام سرور ، إضافة إلى ما ألف باللغة الهندية من "ماذا يكون بعد الموت" ، و "عبادة الإله الواحد" ، وأسفار السيرة النبوية العطرة والخلفاء الراشدين وتاريخ الإسلام وما إلى ذلك .

يقول غوتم : وبعد ذلك بحوالي ستة أشهر ناولني الأخ ناصر كتاباً ثلاثي اللغات : العربية والهندية والإنجليزية في ترجمة معاني القرآن مما تصدره مكتبة الحسنات ، وقال : هذا كلام رب العالمين الذي ملؤه الهدى للناس كافة ، إقرأه عن صدق وإخلاص مع طهارة البدن وصفاء الطوية ، فستستفيد منه فوائد جمة ؛ فأخذت في دراسته بنهم ورغبة ؛ فكنت كلما قرأت منه صفحة شعرت فيها بشيء يجذبني إليه جذب المغناطيس للحديد وبنور يلف كياني وبهكربني بالكيفية الإيمانية ، والله الروحانية حتى تطاير من رأسي ما قد غشيه من الأفكار السيئة ، وانقضع ما قد عشش على صدرني من سحب الأباطيل الداكنة من حيث تبلور لي بجلاء سر الحياة وغاية الوجود التي يجب أن تتغيرها في الدار الفانية ، ثم إنني قد انقطعت إلى دراسة القرآن الكريم ، مستفسراً كل من توسمت فيه العلم عن كل ما كان يدق عن فهمي وبيند عن إدراكي في فنایا القرآن الكريم .

الاحتراز عن الجدل والمراء :

قال غوتم : ولقد آنست من مزايا الأخ ناصر خان ما أعجبني كل الإعجاب ، من أنه لم تنزع به نازعة قط إلى جدل ومناظرة فيما عرضه علي من محسن الإسلام ، وتعاليمه السمحنة خلال هذه الأشهر الستة الفائته ؛ وتالله إنها لطريقة مشهود لها بالخطوة والبراعة والفاعلية في مشوار الدعوة والتبليغ قدماً وحديثاً ؛ فالإصغاء إلى المرء أولاً ، ثم إبلاغ الرسالة إليه ثانياً في ملاطفة وحب وتوثير ، وبغير تعرض لما قال ، لأسلوب ساحر مؤثر يلين الشديد ، ويذيب الحديد ، ويجعل الكلام يتمكن من هتك الستار المسيل دون قلب العدو اللدود ضارباً بعروقه في سويدائه ؛ فإذا به يتبدل

رهين الفراش في المستشفى ، وكان من عجائب المصادف أن سهر علي بالتمرير والمداومة في مسلم من جيرانه في السكن ينتمي إلى مديرية "بجنور" بولاية يوبى ، الهند ، وهو الأخ محمد ناصر خان ، كان مختلفاً إلى كل يوم ، ويقدم لي الطعام والشراب والدواء ، ويسألني عن الصحة ، حتى مضت على ذلك أسابيع ، وهو ناطق لي بكل شيء إلا "الإسلام" ، بيد أنه أثر في نفسي بسلوكه السوي الإنساني النبيل ، وأدبه الجم العالي أثراً عميقاً أبي على إلا أن أسائله يوماً : أني تيسرت لك هذه المشاعر الإنسانية السامية ؟ فلم يزد أنه قال : أنا مسلم رضعت بلبان الإسلام ، الذي من مبادئه المداومة والتعاطف والتعاون فيما بين الجيران ، مما يحتم علي أن أقوم بخدمتك معتبراً إياها واجبتي الهامة ؛ وإنما مسئولي عنها يوم يقوم الناس لرب العالمين .

بواطن الانقلاب :

إن وجوب الحقوق على الحار للجار وروح التعاون بينهما - مهما اختلفا في الدين والمنزع والعرق واللون أو الخدا - كان درساً أول جعلني أسير التفكير في حقيقة الإسلام . وإن مسئولية المرء يوم القيمة عن أعماله الدنيا كانت درساً ثانياً جعلني اعترف بأن الإسلام هو وحده الذي يملئ على صاحبه أنه مسئول يوم القيمة عن كل ما أسلفه في الدنيا ، مما حفزني إلى تدقيق النظر في أمر الآخرة ، كما أنه زودني بثلاثة مبادئ هامة : التوحيد ، والرسالة ، والفوز في الآخرة ، وفسر الأول بأنه إفراد الله تعالى سبحانه بجميع العبادات ، والثاني بأنه الإيمان بأن محمدًا ﷺ رسول الله ، والثالث بأنه منحصر في قوله تعالى : **(أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)** ، هكذا طالعني الأخ تدريجياً بحقيقة الإسلام جملة وتفصيلاً في غضون أسبوع .

دراسة القرآن الكريم والكتب الإسلامية :

وفي هذه الأثناء تناول غوتم بالدراسة المتأنية ما يتراوح عدده بين الثلاثين والأربعين من الأسفار التي تمس مواضع الإسلام المتنوعة ؛ فمن أهمها مثلاً : "إلى فهم الإسلام" لصاحبه الأستاذ أبي الأعلى المودودي و

اشتعال سماحة الشيف أبي الحسن على الندوة [ردّه الله]

بـ "السيرة النبوية" دراسة وتقويمًا

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الدكتور محمد أنظر الندوة

(عاشر صيف عرک الدّراسات العربيّة جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حيدر آباد - الهند)

ثقافة الكاتب وسعة اطلاعه :

١) الشيف الذي يلفت نظر القارئ هو ثقافة وسعة اطلاعه ، وتكفيه نظرة يلقاها على مصادر البحث ليجد نفسه أمام عدد كبير من المصادر ، والمصادر في ثلاثة محاور :

- ١ مصادره في اللغة العربية .
- ٢ مصادره في اللغة الإنكليزية .
- ٣ مصادره في لغته القومية .

ولا ينتهي اطلاع المؤلف على هذا بل إنه مطلع على آخر ما كتب في السيرة النبوية في عصره .

١- من ذلك مثلاً ما أورده في صفحة ٥٤ هامش ٢ من أن الدكتور حسين كمال الدين أعلن أنه توصل إلى ما يشبه النظرية الجغرافية التي تؤكد أن مكة المكرمة هي مركز اليابسة في الكورة الأرضية .

٢- من ذلك ما نقله عن كتاب "الأبطال" لكراليل عن اجتماع الراهب بحيرى بالنبي ﷺ ، حيث يقول : "إني لست أدرى ماذا أقول عن ذلك الراهب سرجياس بحيرى الذي يزعم أن أبا طالب ومحمداً سكنا معه في الدار ولا ماذا عسه أن يتعلم غلام في مثل هذه السن الصغيرة من أي راهب ما" (١) .

نفسًا بنفسه ودينًا بدينه .
التشهد بكلمة الإسلام :

وقال أيضًا : وما تجرب ملاحظته بهذه المناسبة أن الأخ ناصر خان لم يكن قد أبدى لي في غضون هذه الأشهر الستة شيئاً أحسن منه بأنه يستدرجني إلى الإسلام ، وإنما قدم لي من ذات نفسه مثالاً فذاً ، وغمودجاً حياً للحب والإيثار والصلاح والإيمان وقويم السلوك ومكارم الأخلاق ، مما ترك في نفسي تأثير الكبسولة في الداء ، حتى جاهرت له يوماً مما يعتمل في نفسي من رغبة جاححة في اعتناق الإسلام ، مستلهما منه أن يؤازرني في هذا السبيل .

فاستعظم الأخ هذا الأمر ، وأمرني بالتأدة والتأني وعدم المجازفة ؛ خشية أن يكون ذلك قد أدى إلى احتدام الشعور الطائفي في زملائي وعشيرتي الأقربين ، فيقفوا مني موقف المحادنة والمناواة والعداء في تهور وعصبية قلت له : إنني لا أبالي بذلك أيمًا مبالغة ، وإنما أنا متوكل على الله تعالى ، ومستمسك بدين الله سبحانه وتعالى ، مهما كانت الأحوال .

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان الله مصرعى وما هي إلا دقائق حتى داشرت قلبي بشاشة الإيمان ، فوجدت فيه يرد الراحة وطمأنينة اليقين حين تشهدت بكلمة الإسلام على يد الأخ ناصر في شهر يوليوز عام ١٩٨٤ من الميلاد ، ثم إنه أخذني إلى المسجد يوم الجمعة ، فأشربت الأعناق ، وغمرت المصلين موجة من الاهتزاز والتفاؤل ؛ اغبطةً بانصواتي تحت لواء الإسلام ، من حيث خاف على الشر جميع من في الأروقة الجامعية ، وعلم بذلك معارف فتنكروا لي بوجوه كالحة عليها علامات الاستفهام ، وقد سعدت بتسمية نفسي بـ "عمر" لما كنت تأثرت بشخصية عمر الفاروق العبرoricة العملاقة أكثر مني بغيره من أساطين الإسلام المعدودين .

(يتبع)

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٨ / هامش ٦ .

٣ - من ذلك ما أورده عن كاتب غربي معاصر عن تعدد الزوجات في صفحة ٤١٥ هامش ١، وما كتبه المؤلف الهندي القاضي محمد سليمان المنصور فوري في المجلد الثاني من كتابه رحمة للعالمين (ص ١٤١-١٤٤)، وما كتبه عباس محمود العقاد في كتابه "عقبريّة محمد" تحت عنوان "تعدد الأزواج" وعنوان "أسباب تعدد زوجاته".

٤ - ومن ذلك ما أورده في الخطوات الدافعية والإجراءات العسكرية التي اخذها الرسول ﷺ في معركة بدر، في كتاب "حديث الدفاع" للواء محمد أكبر خان الباكستاني في الأردية، والرسول القائد للواء الركن المتلاuded محمود شيت خطاب.

مناقشة لتحديد السنوات بالنسبة للحوادث الهامة :

٢ - وجه المؤلف انتباذه إلى تحديد السنوات بالنسبة للحوادث الهامة، وفي الغزوات ذات الأهمية كبيرة وأحد والخندق تجده يسارع في الهاشم لمناقشته سنة وقوع هذا الحادث، وإيراد الروايات المختلفة وترجيح الأصح منها، وهذا أمر مهم يعطي البحث صفة الزمنية، ويربط كل حادث بتاريخ وقوعه، ليأخذ مكانة التسليلي في السيرة الشريفة .

الإيجاز والبساطة :

٣ - يحرر المؤلف الحوادث والواقع بإيجاز بسيط عذب يحصل على الغاية ولا يقصد الإطناب الممل ولا يتعرض الروايات الزائفة ولا يعتمد على تفنن العبارات والجمل، من ذلك مثلاً ما حشد المؤرخون وأهل السير من الروايات الضعيفة في بيان مولد الرسول ﷺ وصوروا الواقع تصويراً غريباً، ولكن المؤلف كتب المولد بأسلوب بسيط موجز، وهو يقول: "وولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين، اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، عام الفيل (٥٧٠ الميلادي) فكان أسعد يوم طلعت فيه الشمس" ، ثم يقول في الهاشم الرابع "هذه هي الرواية المشهورة، وقد حقق العالم

الفلكي الكبير محمود باشا المصري أن ولادته ﷺ كانت يوم الإثنين التاسع من شهر ربيع الأول لأول عام من حادثة الفيل ، ٢٠ إبريل (نيسان) سنة ٥٧٦م ، وجاء في بعض الروايات أنها كانت في ٥٦٩م ، وذكر القاضي محمد سليمان المنصوري في كتابه رحمة للعلميين أن الولادة الكريمة كانت في التاسع من ربيع الأول عام الفيل ، الموافق الثاني والعشرين ٢٢ من أبريل سنة ٥٧٦م ، (٢) وقد أوجز المؤلف بيان الإسراء والمعراج إيجازاً ملحوظاً فيقول :

وانصرف رسول الله ﷺ من الطائف إلى مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلاف وعداء وسخرية واستهزاء ثم أُسرى رسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومنه إلى ما شاء الله من القرب والدُّنُو والسير في السموات ومشاهدة الآيات والاجتماع بالأئمَّة : **«ما زاغ البصرُ وما طغى * لقد رأى من آياتِ ربِّه الْكَبُرَى»** (٣)، فكانت ضيافة كريمة من الله، وتسلية وجبراً للخاطر ، وتعويضاً عما لقيه في الطائف من الذلة والهوان ، والجفاء والنكران ، فلما أصبح غداً على قريش ، فأخبرهم الخبر ، فأنكروه ذلك ، واستعظموه وكذبوا ، واستهزؤوا ، وأما أبو بكر فقال : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك؟ فو الله إنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار ، فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه (٤).

التركيز على الجوانب الدعوية والبلاغية في أعمال الرسول ﷺ :
أوضح المؤلف جهة الرسول ﷺ الدعوية والبلاغية وخصائص الرسالة الحمدية ، وقرره أرفع وأجل من القواد القوميين الزعماء والسياسيين ، وتتوضح هذه الميزة من عدة أمثلة :

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٩ . (٣) التجم ١٧-١٨ . (٤) المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة فواجه اليهود وكان له أن يتلاطف ولا يعارضهم حتى يقي نفسه من عدائهم ولكنه لم يسلك مسلك الساسة والزعماء القوميين بل انتهج مبادئ الرسالة الإلهية، وإنه يقول تحت عنوان "طلائع عداء اليهود":

"إذا كان مكان رسول الله ﷺ زعيم سياسي لحسب للوضع المعقد - الذي كانت تعشه المدينة ، وابتعد عن إثارة سخط اليهود وعدائهم ، إن لم يتملقهم ويتوعد إليهم ، ولكنه الرسول المأمور بتبلیغ الرسالة ، والتصدع بما أمر به ، وتحجص الحق والباطل ، وعدم مسايرة الفاسد والضلال ، والمكلف بدعوة الطوائف والأمم جميعاً إلى الإسلام ، وفيهم اليهود والنصارى أهل الكتاب ، مهما كلفه ذلك من ثمن ومشكلات طريفة ، فإنه هو النهج النبوى الذى سار عليه الأنبياء قبله ، وهو النهج القويم ، والفارق بين السياسة والنبوة ، والزعماء القوميين والأنبياء المرسلين" (٥).

وقد أبرز المؤلف الخط الفاصل بين السياسة والنبوة في بيان المراج ، فإنه يقول :

"وجاء الإسراء خطأً فاصلاً بين الناحية الضيقية المحلية المؤقتة وبين الشخصية النبوية الخالدة العالمية ، فإن كان الرسول عليه الصلاة والسلام ، زعيم أمة أو قائد إقليم أو منفذ عنصر أو مؤسس مجد ، لم يكن في حاجة إلى سياحة في عالم الملوك ، ولم يكن في حاجة إلى أن تتصل بسببه الأرض والسماء اتصالاً جديداً ، لقد كان له في أرضه التي يعيش فيها وفي محیطه الذي يكافح فيه ، وفي مجتمعه الذي يسعى لإسعاده ، غنىً وسعة ، لا يفكرا في غيره ، ولا يتجاوز إلى رقعة أخرى من الأرض فضلاً عن السماوات العلا ، وسدرة المنتهى ، وفضلاً عن المسجد الأقصى الذي يبعد عن بلده

(٥) المصدر السابق ، ص/ ٢٠٥.

٤٥ - ج/ ٤٥ محرم وصفر ١٤٣٥ هـ

يناير وفبراير ٢٠٠٩ م

٣٢/٣٢

بعداً كبيراً ، والذي كان في ولاية الديانة المسيحية وحكومة الأمة الرومية القوية" (٦).

وتتوضح هذه الحقيقة كاملاً من الاقتباس الآتي :

وكان رسول الله ﷺ على رفقه ولن كنفه وقوه احتماله وتغاضيه عن سقطات الناس وزلاتهم - على حد لا يتصور فوقه - شديد الحفاظ على أصالة الدين ، شديد الغيرة على روحه تعاليمه وعلى عقيدة التوحيد ، شديد الخذر مما يعرض أمنه لخطر التورط في الأوهام والمغالاة ، وتقديس الأشخاص ، والعودة إلى الجاهلية ، لا تأخذن في ذلك هواة ، ولا تمنعه من الإنكار عليه مصالح قيادية أو اعتبارات سياسية ، وكان في ذلك يختلف عن قادة الجماعات والزعماء السياسيين اختلافاً واضحاً ، وكذلك لم يسعه السكت حين قال رجل : ما شاء الله وشئت ، فقال ﷺ : "أجعلتني الله نداً" ، وقل رجل - وهو يخطب - : "من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى" ، فقال : "بئس خطيب القوم أنت" ، وفي هذه المواقف يتجلّى "الموقف النبوى" وما يمتاز به الأنبياء عن القادة والزعماء وعظماء البشر ، من تجرد عن الأنانية ، واستغلال الحوادث وضعف العقول في صالحهم ، والسماح للمدح والإطراء ، ولو تخطى الحدود ، وكان رسول الله ﷺ إمام الأنبياء في ذلك والأسوة الكاملة ، وقد قال : لا تطروني كما أطرب النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد الله فقولوا : عبد الله ورسوله (٧).

بحث عن عوامل الحوادث واستخلاص النتائج :

(٥) ومن خصائص "السيرة النبوية" أن المؤلف بحث عن عوامل الحوادث واستخلاص النتائج ومصالح الأمور وحكمها بصفة خاصة ، وإن المفسرين وأصحاب السير بذلوا جهودهم في إثبات واقعة المراج وقدروا

(٦) المصدر السابق ، ص/ ١٥٠ .

٤٤٣-٤٤١ محرم وصفر ١٤٣٥ هـ

(٧) المصدر السابق ، ص/ ٤٤١-٤٤٣ .

يناير وفبراير ٢٠٠٩

٣٣/٣٣

حجر الإسلام، وكانت تعود إلى الإسلام وكراهة شديدة للوثنية وآثارها الحاهلية وشعائرها (١٠).

روح البحث والتحقيق العصري :

(٧) كتب المؤلف الكتاب بأسلوب عصري علمي تحققي ولم يأت بالباحث الزائف والأراء غير المفيدة وقد ناقش عن كلمة "الأريسيين" ضمن الرسالة التي أرسلها إلى هرقل ملك الروم فيقول : وردت كلمة الأريسيين أو "اليرسيين" على اختلاف الروايات في الكتاب الذي وجده إلى "هرقل" وحده ، ولم ترد في كتاب من الكتب التي أرسلت إلى غيره ، واختلف علماء الحديث واللغة في مدلول هذه الكلمة فالقول المشهور أن "الأريسيين" جمع "أريسي" وهو الخول والخدم والأكارون (١١) وجاء في "لسان العرب" لابن منظور : "الأرس" : الأصل و "الأريس" : الأكار ، نقله عن ثعلب ، وذكر عن ابن الأعرابي : أنه قال أرس يأرس أرساً إذا صار أريساً ، وأرس يؤرس تأريساً : إذا صار أكاراً ، ونقل عن أبي عبيدة أنه قل : الأجود عندي أن يقول إن "الأريس" كبيرهم الذي يمثل أمره ، ويطيعونه إذا طلب منهم الطاعة (١٢).

(١٠) المصدر السابق ، ص / ٣٧٨-٣٧٧ . (١١) راجع شرح النووي لصحيح مسلم ، و "مجموع خوار الانوار" .

^{١٢} راجع "لسان العرب" مادة "أرس".

سینا پر و فبر ایر ۲۰۰۹

الغاية الأصلية في خضم المباحث الكلامية ، وأما فضيلة الشيخ الندوى فإنه اهتم ببيان الأسرار والحكم من حادث المعراج والإسراء حيث يقول : "ف كانت ضيافة كريمة من الله ، وتسليمة وجبراً للخاطر ، وتعويضاً عما لقيه في الطائف من الذلة والهوان والجفاء والنكران ... ولم يكن الإسراء مجرد حادث فوري بسيط ... بل اشتملت هذه الرحلة النبوية الغيبية على معان عميقة دقيقة كثيرة ، ... أن مهداً عليه السلام هو نبي القبلتين وإمام المشرقيين والمغربيين ، ووارث الأنبياء قبله ، وإمام الأجيال بعده ، ... وأفادت هذه السورة الكريمة تعين شخصية النبي عليه السلام ووصف إمامته وقيادته وتحديد مكانة الأمة التي بعث فيها وأمنت به ، وبيان رسالتها ودورها الذي ستمثله في العالم ، ومتى بين الشعوب والأمم (٨) .

وقد ذكر المؤلف أسباباً لقبول أهل المدينة الإسلام كدين سماوي جديد ووصف الأوس والخزرج وميزاتهما (٩).

بحث عن مؤثرات الغزوات والمعارك النبوية :

٦) بحث المؤلف عن مؤثرات مهام الغزوات والمعارك النبوية ونتائجها الإيجابية مثل غزوة خيبر وغزوة تبوك وفتح مكة ، ويقول تحت عنوان : عام الوفود ٩٦هـ : "وهذه السنة سنة الوفود ، فإن العرب تربصوا بالإسلام أمر قريش ، لأنهم إمام الناس وأهل بيته ، فلما دانوا ، وفتح مكة وأسلم ثقيف ، وعرفوا أنه لا طاقة بهم ، ووافت الوفود من كل وجه يدخلون في دين الله أفواجاً فكان لكل ذلك أثره الطبيعي في النفس ، فتح الطريق للدخول في الإسلام ولقاء رسول الله ﷺ في المدينة وتقاطرت وفود هداية واستطلاع إلى مركز الإسلام كأنها عقد انفرط ، فتساقط لآلية في

^(٨) السيرة النبوة، ص/١٤٨-١٤٩.

^(٩) المصدر السابق، ص / ١٥٤-١٥٦

العيش ، ورقة في الشعور ، وتوسيع في الخيال .

إن هذه الصورة القامة لمكة ، لا تتفق مع الواقع التاريخي ومع ما نثار في كتب التاريخ ودواوين الأدب والشعر الجاهلي ، من وصف مكة وما كان عليه أبناؤها ، في منتصف القرن السادس المسيحي من آداب وأعراف وعادات ومظاهر كثيرة في الحياة ، قد انتقلت من طور بدائي بدوي إلى مدني ، ولا تتفق مع وصفها القرآن بنعوت وأسماء لا تليق بقرية صغيرة ، وحياة بدوية ، فقد سماها "أم القرى" في قوله : **(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَأَرِيبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)** (١٦) قوله : **(وَالَّتِينَ وَالَّزَّيْتُونَ وَطُورَ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلْدُ الْأَمِينُ)** (١٧) قوله : **(لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلْدَ * وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلْدِ)** (١٨) .

والحق أن مكة قد انتقلت في منتصف القرن الخامس الميلادي ، من طور البداوة إلى طور الحضارة ، وإن كانت حضارة بالمعنى المحدود ، وخضعت لنظام يقوم على اتفاق تطوعي وتفاهم جماعي وتوزع للمسؤوليات والمهام ، وكان ذلك على يد قصي بن كلاب جد الرسول الخامس (١٩) .

وكذلك يتذكر المؤلف الحالة الاقتصادية والعملة والمكاييل في جزيرة العرب بدقة وعمق ، وإن هذه البيانات تشهد له مؤهلات البحث والتدقيق (٢٠) .

إبطال شبهات المستشرقين :

(٨) قد رفع المؤلف الشبهات التي أثارها الغرب والمستشرقون في صدر الغزوات وأثبت أن السيرة النبوية نزيهة من كل التهم والشبهات ، حيث

منظور بقوله : "وكان أهل السواد من هو على دين كسرى أهل فلاحة وإثارة للأرض ، وكان أهل الروم أهل أثاث وصنعة ، فكانوا يقولون بمحوس "أريسين" نسبوه إلى "الأريس" وهو الأكار ، وكانت العرب تسميهم "الفلاحين" (١٣) ، ولذلك نرجح أن المراد بالأريسين هم أتباع "أريوس" المصري (Arius 280-334) وهو مؤسس فرقه مسيحية كان لها دور كبير في تاريخ العقائد المسيحية والإصلاح الديني" (١٤) .

ثم بين نظريتها في التوحيد وأسهب في بيان خلفية القصة ثم قال : إذا من المرجح المعقول أن النبي ﷺ إنما عنى بهذه الفرقه بقوله "فإن توليت فإن عليك إثم الريسين" فإنها هي القائمة بالتوحيد النسبي في العالم المسيحي الذي تتزعمه الدولة البيزنطية العظمى التي كان على رأسها القيصر هرقل" (١٥) .

إن كثيراً من الناس يتخيرون أن مكة لم تكن مدينة ، بل كانت قرية من القرى ، قد رد المؤلف هذا الرأي وقال : يتخييل كثير من الناس من لا علم لهم بأحوال العصر الذي كانت فيه البعثة ، وليس لهم اطلاع واسع على أيام العرب وأخبارهم وشعرهم وعواوينهم ، أن مكة كانت قرية صغيرة ، وكانت الحياة فيها في طور الطفولة العقلية والاجتماعية والحضارية ، وكانت أشبه بمسكن القبائل ، فيه مضارب من الشّعر ، تسود فيها الخيام ، وبين معاطن الإبل ، ومرابض الغنم ، ومرابط الخيال ، منتشرة في حواشى الوادي وشعاب الجبال ، يتبلغ أهلها ببلوغها من العيش ، ويتعيشون على الخبز القفار أو لحم الإبل الذي لم يحسن شواؤه ولم يكمل استواوه ، ويلبسون اللباس الخشن الذي يتخذونه من أصوف الإبل وأوبارها ، شأن لهم بتوسيع في المطاعم والمشارب ، أو تأنيق في اللباس ، أو لين من

(١٣) المصدر السابق .

(١٤) المصدر السابق ، ص / ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(١٥) المصدر السابق ، ص / ٣٠٨ .

٢٠٠٤

(١٦) الشورى : ٧ .

(١٧) التين : ٣-١ .

(١٨) البلد : ١-٢ .

٩١-٩٢

(١٩) المصدر السابق ، ص / ٨٣-٨٤ .

٩١-٩٢

(٢٠) المصدر السابق ، ص / ٩١-٩٢ .

٩٢-٩٣

٩٣-٩٤

٩٣-٩٤

٩٤-٩٥

٩٦-٩٧

٩٧-٩٨

٩٨-٩٩

٩٩-١٠٠

١٠٠-١٠١

١٠١-١٠٢

١٠٢-١٠٣

١٠٣-١٠٤

١٠٤-١٠٥

١٠٥-١٠٦

١٠٦-١٠٧

١٠٧-١٠٨

١٠٨-١٠٩

١٠٩-١١٠

١١٠-١١١

١١١-١١٢

١١٢-١١٣

١١٣-١١٤

١١٤-١١٥

١١٥-١١٦

١١٦-١١٧

١١٧-١١٨

١١٨-١١٩

١١٩-١٢٠

١٢٠-١٢١

١٢١-١٢٢

١٢٢-١٢٣

١٢٣-١٢٤

١٢٤-١٢٥

١٢٥-١٢٦

١٢٦-١٢٧

١٢٧-١٢٨

١٢٨-١٢٩

١٢٩-١٣٠

١٣٠-١٣١

١٣١-١٣٢

١٣٢-١٣٣

١٣٣-١٣٤

١٣٤-١٣٥

١٣٥-١٣٦

١٣٦-١٣٧

١٣٧-١٣٨

١٣٨-١٣٩

١٣٩-١٤٠

١٤٠-١٤١

١٤١-١٤٢

١٤٢-١٤٣

١٤٣-١٤٤

١٤٤-١٤٥

١٤٥-١٤٦

١٤٦-١٤٧

١٤٧-١٤٨

١٤٨-١٤٩

١٤٩-١٥٠

١٥٠-١٥١

١٥١-١٥٢

١٥٢-١٥٣

١٥٣-١٥٤

١٥٤-١٥٥

١٥٥-١٥٦

١٥٦-١٥٧

١٥٧-١٥٨

١٥٨-١٥٩

١٥٩-١٦٠

١٦٠-١٦١

١٦١-١٦٢

١٦٢-١٦٣

١٦٣-١٦٤

١٦٤-١٦٥

١٦٥-١٦٦

١٦٦-١٦٧

١٦٧-١٦٨

١٦٨-١٦٩

١٦٩-١٧٠

١٧٠-١٧١

١٧١-١٧٢

١٧٢-١٧٣

١٧٣-١٧٤

١٧٤-١٧٥

١٧٥-١٧٦

١٧٦-١٧٧

١٧٧-١٧٨

١٧٨-١٧٩

١٧٩-١٨٠

١٨٠-١٨١

١٨١-١٨٢

١٨٢-١٨٣

١٨٣-١٨٤

١٨٤-١٨٥

١٨٥-١٨٦

١٨٦-١٨٧

١٨٧-١٨٨

١٨٨-١٨٩

١٨٩-١٩٠

١٩٠-١٩١

١٩١-١٩٢

١٩٢-١٩٣

١٩٣-١٩٤

١٩٤-١٩٥

١٩٥-١٩٦

١٩٦-١٩٧

١٩٧-١٩٨

١٩٨-١٩٩

١٩٩-١١٠

١١٠-١١١

١١١-١١٢

١١٢-١١٣

١١٣-١١٤

١١٤-١١٥

١١٥-١١٦

١١٦-١١٧

١١٧-١١٨

إنه يقول بعنوان "نظرة على الغزوات": وبغزوة تبوك التي كانت في رجب سنة والاضطهاد الكنسي إلى اثنى عشر مليون نفس (٢١).
ندوة العناوين ولطفها :

(٩) ومن خصائص الكتاب أن المؤلف يقيم عناوين غريبة لطيفة ويظهر العواقب والنتائج من خلال العناوين، مثلاً إنه أقام عنواناً «ولله جنود السماء والأرض» في بيان حفاظ النبي ﷺ وصلاحه أبي بكر عند ما دخلوا في غار ثور، وكذلك عنوان، "جائزة من الله" في بيان غزوة خيبر.

الاحتراز من الشواذ والتفرادات :

(١٠) والكتاب نزيه من الشواذ والتفرادات هو أن المؤلف سلك مسلك الخدفين وأهل السير في بيان وقائع السيرة ولم يقطع جزءاً من أجزاءها ولم يتأنل فيها كما فعل كثير من المؤلفين وأهل السير.

التمسك بالاتزان والاعتدال :

(١١) والكتاب يتميز بالاتزان والاعتدال من حيث إن المؤلف لم يوجز إلى حد يستدعي القراء المزيد من المعلومات ولم يسهب بقدر يتبعهم، وقد أورد المؤلف جميع مهام الواقع وأجزائه الضرورية وصرف النظر عن الفروع العادلة والتفاصيل غير المقيد الازمة، واعتدل المؤلف في الأسلوب أيضاً، وقد راعى المعاني الأدبية والمعاني الروحية على السواء ولم يتصنع في التعبير عن قضايا السيرة النبوية، كما اعتدل المؤلف في بيان العجزات أيضاً، وإنه لم يشبل كتابه بذكر كل نوع من أنواع العجزات، ويظهر اتزان رأيه في بيان إرسال النبي ﷺ الكتب إلى الملوك وتحدث الرسل إليهم بأساليبهم خارقة للعادة، حيث يروي ابن سعد في الطبقات (ج ٢/ ص ٢٢)، والسيوطى في الخصائص الكبرى (ج ٢/ ص ١١)، "... فأصبح كل واحد يتكلم لغة البلاد التي أرسل إليها" يقول المؤلف: "والمؤلف حين لا يستبعد وقوع المعجزة، فسيرة الرسول ﷺ وسير الأنبياء قبله مليئة

بالعجزات وخوارق العادات، وإنكارها من المكابرة، ولكنه يرجح أن ذلك كان مبنياً على الحكم وحسن الاختيار من رسول الله ﷺ، فلم يكن وجود من يحسن اللغة الرومية واللغة الفارسية ولغة الأقباط في مصر ولغة أهل الحبشة، غريباً لكثرة اختلاط العرب بهذه الأمم الأربع وكثرة رحلاتهم التجارية إلى هذه الأقطار وتنقلاتهم فيها" (٢٢) واعتذر المؤلف في رد شبهات أثارها المستشرقون من حيث لا يكون الكتاب كلامياً.

الجمع بين القديم والجديد :

(١٢) اعتمد المؤلف في الكتاب على القرآن الكريم والأحاديث النبوية وكتب السير والتاريخ القديمة في جانب، وإنه استفاد من مصادر التاريخ والجغرافية والآثار استفادة كاملة في آخر، وبالجملة إنه استفاد من المأخذ القديمة والجديدة والشرقية والغربية.

تبعة الواقع تلو الواقع :

(١٣) أتبع المؤلف واقعة تلو واقعة من حياة الرسول ﷺ حيث يعتقد القارئ أنه هو الموقف لذكرها لأن المؤلف جمع الوحدات في وحدة واحدة عن طريق العرض والتقديم والترتيب، ومن أمثلة: بحث المؤلف عن رحلة النبي ﷺ إلى الطائف وما لقي فيها من الأذى، ثم أتبعه قصة الإسراء والمعراج وجعل الصلة بين الحادثتين.

دراسة السيرة النبوية من منظور الرحمة والرأفة :

(١٤) رتب المؤلف أحوال حياة الرسول ﷺ وواقع السيرة النبوية على أساس الرأفة والرحمة حيث يشعر القارئ أن الرسول ﷺ كان رحمة للعالمين بجمعه في معنى الكلمة ولا يحتاج إلى دليل أو برهان أو منطق، وهذه هي الغاية من تأليف كتب السيرة النبوية، ومتماز هذه الميزة بعد دراسة عنوان قصة بناء الكعبة ودرء فتنة عظيمة.

(٢٢) المصدر السابق، ص/ ٢٨٥، الهاشم/ ٢.



غرائب التنزيل ولطائف الأخبار) في مصطلح الحديث ومفرداته ، وكتابه الآخر (تذكرة الموضوعات) تلقاه العلماء بالقبول ، وقد نشر جمع بحار الأنوار التاجر المحسن الشيخ محمد نورولي رحمه الله طبعه الجديد طباعة جميلة جيدة ، كان الشيخ محمد نورولي قد هاجر من الهند إلى الحجاز وتوفي في عام (٢٠٠٤م) ودفن فيها .

٤- شكل الملك المغولي الصالح الفقيه عالم كبير أورنك زيب لجنة برئاسة عالم كبير الشيخ نظام الدين البرهان بوري لا عدد (موسوعة فتاوى عالملكة به) التي عرفها الفقهاء العرب بـ (الفتاوى الهندية) وكانت مرجعاً للأحمد والمسائل عند علماء الهند والعرب على السواء ، ألفت في ستة مجلدات كبيرة على طريقة (الهداية) كانت اللجنة الفقهية هذه تشمل على ٢٤ فقيهاً ، وكانت مسئولية الإشراف على هذه الموسوعة للشيخ الأجلاء : القاضي محمد حسين الجونيوري الحتسبي ، والشيخ على أكبر الحسيني أسد الله الخاني ، والشيخ حامد بن أبي حامد الجونيوري والمفتى محمد أكرم الحنفي الlahori .

٥- الشيخ محب الله بن عبد الشكور الحنفي البهاري (١١١٩هـ) وكتابه (مسلم الثبوت) في أصول الفقه من أعظم الكتب اختياراً للمناهج الدراسية في البلاد العربية والإسلامية .

٦- الشيخ محمد علي التهانوي (١٢٠٠هـ) وكتابه (كشاف اصطلاحات الفنون) معجم للمصطلحات العلمية وهو كتاب قيم ، ومصدر للباحثين والدارسين .

٧- الشيخ عبد النبي بن عبد الرسول أحمد نكري (١٢٠٠هـ) وكتابه (دستور العلماء) أو (جامع العلوم) في أربعة أجزاء على طراز الكتاب السابق .

٨- الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه وللي الله الدهلوi وكتابه (حجۃ الله البالغة) في أحكام الشريعة وأسرارها وحكمها وفلسفتها ،

(الحلقة الثانية الأخيرة) بقلم : البروفيسور محمد اجتباء الندوi
(يومني "الهند")

التفاعل الثقافي والأدبي بين الهند والعرب

كان من ثمار هذا التفاعل عبر العصور في الهند ، اثراء العلوم العربية والثقافة العربية الإسلامية فأنشئت المراكز والمدارس والجامعات والندوات ، ودونت مجموعات ومناهج ومقررات دراسية ، وكانت مساحة دينية سائدة عليها وروح إسلامية غالبة على الثقافة الإسلامية والأداب العربية في الهند من بدايتها إلى يومنا هذا ، وقدمت خيبة ممتازة من العلماء والأدباء والكتاب ثمار أفلامهم ونتائج قرائحهم فصارت مفخرة المراكز والدوائر والجامعات والمكتبات في الهند وببلاد العرب على السواء وحظيت بالقبول والتلقي من شعبيهما ، وهي لا تزال مشاعل النور ومنارات السبل

نذكر بعضها كمثال ونموذج :

١- الإمام حسن الصغاني والlahori وكتابه (العباب الراخ) في فن اللغة والمعجم ، و (مشارق الأنوار) في فن الحديث ، جعلهما العلماء العرب الباحثون أمثل السيوطني والذهبي من أحسن الكتب في هذا الفن وكان مشارق الأنوار في عداد المقررات الدراسية .

٢- الشيخ علي حسام الدين المتقي البرهانوري (٩٧٥هـ) وكتابه (كتنز العمل) دون على طراز (جمع الجواجم) للإمام السيوطني ، وهو من أهم المراجع للعلماء وطلبة العلم ، وقد قال عن هذا الكتاب عالم حجازي جليل أن للإمام السيوطني منه على العلماء وللسيد المتقي فضلاً على الإمام السيوطني .

٣- الشيخ محمد طاهر الفتني (٩٨٦هـ) وكتابه (جمع بحار الأنوار في

كتاب متميز لا مثيل له في المكتبة العربية الغنية الزاخرة ، طبع عدة مرات في الهند وببلاد العرب وعلق عليه وشرح معانيه وسجل تقديمًا وتقريرًا عدد من العلماء الأعلام ، اختيرت أبواب منه في المناهج الدراسية ، يمتاز بلغته وأسلوبه العربي الجميل الطبيعي لا يشوبه السجع والتعقييد والتنميق الذي ورثه كتاب العربية من أساليب القاضي الفاضل وأبي القاسم الحريري الذي كان رائجًا إلى العصر القريب ، اختار هذا الأسلوب الأدباء بعد مقدمة ابن خلدون ، وتبعه هذا العالم الهندي العبرقي .

- ٩ العالمة سيد مرتضى بن محمد البكرامي الزبيدي (١٢٠٥هـ) وهو أشهر من أن يعرف وكتابه (تاج العروس في شرح القاموس) في عشرة مجلدات مكتبة مستقلة ، طبع أخيراً في دولة الكويت .

هذه نبذة يسيرة للشخصيات العظيمة التي برزت في الهند وأتحفت المشتغلين باللغة العربية بمؤلفات وكتب وورشات أفلامهم ، وهناك عباقرة من الكتاب الذين يتفوقون بكثرة مؤلفاتهم وسرعة كتاباتهم وصخامة انتاجاتهم ويعتبرون مجتمع ودوائر المعارف وأكاديميات وموسوعات بتقديم كنوز وذخائر علمية وأدبية وفكرية كنبع جياش دفاق عذب شفاف ، نذكر بعض النماذج منها :

١- الأمير سيد صديق حسن خان القنوجي (١٣٠٧هـ) يبلغ عدد مؤلفاته وترجمه بين الصغر وال الكبر ثلاثة (٣٠٠) كتاب ، وله في اللغة العربية (٥٦) كتاباً ، عدد منها في مجلدات كبير ضخمة ، نحو : فتح البيان في مقاصد القرآن في عشرة أجزاء ، وأبجد العلوم ، والتاج المكمل ، والبلقة في أصول اللغة ، والعلم الخفاف من علم الاستيقاظ .

٢- العالمة الفقيه الشيخ عبد الحي اللكنوي الفرنسي محلی (١٣٠٦هـ) يبلغ عدد مؤلفاته (١١٠) منها (٨٦) في اللغة العربية ، أشهرها (السعایة في شرح الوقایة) مصباح الدّجى ، التعليق المجد ، وظفر الأمانى والفوائد البهية ، وهي لا تزال منبعاً للفقه الحنفي .

٣- المربى الجليل والمصلح الكبير الشيخ أشرف علي التهانوي (١٣٣٦هـ) عدد مؤلفاته ما بين كبير وصغير (٩١٠) منها (١٣) كتاباً في اللغة العربية ، كانت شخصيته أفادت الشعب الهندي كثيراً جداً .
وهناك مؤلف كبير قدم خدمة جليلة ، نال صيتاً وقبولاً وتقديرأ بكتابه (معجم المؤلفين) في ستين (٦٠) مجلداً وهو اللغوي العالمة محمود حسن خان الطونكي (١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م) صفحات هذه المجلدات ٢٠ ألف ، وذكر فيها ٤٠ ألف مؤلفاً ، منهم ألفان أسماؤهم (أحمد) واستفاد في تأليفه من ألفين وخمس مائة كتاب ، وذكر فيها المؤلفين الذين ألفوا كتاباً في اللغة العربية إلى سنة ١٣٥٠هـ طبعت أربعة أجزاء فيها فقط على نفقة حكومة حيدر آباد في بيروت .

إنها بعض أمثلة للمؤلفين الهنود الذين ألفوا وتركوا مؤلفات قيمة من العصر الأول إلى يومنا هذا ، يحتاج إلى الإشادة والتنويه بها جميعاً ، إذا اتيحت لنا فرص أخرى ، كان قد ساهم فيها الكتاب والعلماء الذين نهلوا من المنابع العذية الثرية في بلاد العرب والهنود وكانت بينهم أواصر علمية ودية عميقة ، وكانت الآداب العربية والثقافة العربية تحتوى على علوم و المعارف متنوعة تمت بصلة وثيقة بهذه المواضيع ، وندركها بالقاء نظرة على جدول المناهج الدراسية العامة ونؤجزها كالآتي :

(١) علوم القرآن والتفسير . (٢) الحديث وعلومه . (٣) الفقه وأصوله (٤) علم الكلام والحكمة . (٥) الأخلاق والتصوف . (٦) الفلسفة . (٧) علم الحساب والهندسة والطب . (٨) علم اللسان (اللغة والبلاغة والعروض) . (٩) التاريخ والجغرافية والسير . (١٠) الترجمة والمسجع : الأدب والخطب والمحاترات والرسائل والمكاتيب وشرح الكتب الأدبية والقصص والحكايات . (١١) الشعر .

وكانت النشاطات العلمية والأدبية في بلادنا في ضوء هذا الجدول مستضيئاً بكل مجده ويسراً حصوله من البلاد العربية وإيران أيضاً

يا أحمد المختار يا زين الورى
يا خاتماً للرسل ما أعلى
يا كاشف الضراء من مستنجد
يا منجياً من الحشر ما والا
ويقول :

إذا ما أتتني أزمة مدلهمة
تحيط بنفسي من جميع جوانب
طلبت هل من ناصر أو مساعد
ألوذ به من سوء العواقب
فلست أرى إلا الحبيب محمدًا
رسول إله الخلق جم المناقب
مولانا غلام علي آزاد بلكرامي (١٢٠٠هـ) من بلدة العلامة سيد
مرتضى الزبيدي البلكرامي، ومن أسرته وهو من كبار علماء العربية نثراً
وشعراً ذكرناه بأعلاه أنه لقب بـ (حسان الهند) بغزاره شعره في المدائح
النبوية، له سبعة دواوين باسم (السبع السيارة) وكتاب قيم (سبحة المرجان
في آثار هندوستان) يقول في قصيدة له :

شان المحب عجيب في صبابته
المهر يقتله والوصل يحييه
لولاه ما شاقه عرف الصبا سحراً
ولم يكن بارق الظلماء يشجيه
يا جارة هيجة بالنصح لوعته
بحق مقلته العبرا بخلقه

ويذكر هبوط آدم عليه السلام متلالاً النور الحمدي على جبينه:
قد أودع الخلاق آدم نوره
متلالاً كالكوكب الوقاد

طبقت في المدارس والجامعات، ولا تزال، ولو أنها تطورت طبقاً
للظروف والأوضاع ومطالب الزمن، وفرض الشعر ولو أن الشعر كان
يقرضه عامة العلماء الذين يشتعلون بعلوم وثقافة متنوعة، ولكن برز
بعض منهم لم يكن همهم إلا الشعر، وهم قلائل نحو: أبو عطاء السندي
الذى يقول متأثراً بالشعراء العرب :

ذكرتك والخطي يخطر بیننا
وقد نهلت منا المثقفة السمر

فو الله ما أدرى وإنى لصادق
أداء عراني من حبابك أم سحر
فإن كان سحراً فاعذرني على الهوى
وإن كان داء غيره فلك العذر

ويقول سعد بن سليمان اللاهوري :
وليل كان الشمس ضلت عمرها
وليس لها نحو المشارق مرجع
فقلت لقلبي طال ليلى وليس لي
من ألم منجاً وفي الصبر مفرع
الأمير خسرو (طوطى الهند) (٧٢٥هـ) كان عجائب الخلق يلم بكل
علم ومعرفة، ويفرض الشعر بالعربي والفارسي والممزوج من الهندي
والأردي، ولقب بـ (ملك الشعراء) يقول :

ذاب الفؤاد وسال من عيني الدم
وحكى الدوامع كل ما أنا أكتم
يا عاذل العساقي دعني باكيا

إن السكون على المحب محرم
الإمام ولی الله الدهلوی (١١٧٦هـ) يقول مدحًا النبي الكريم ﷺ
في قصيده الشهيرة (أطيب النغم) :

والهند مهبط جدنا ومقامه

قول صحيح جيد الاسناد

فسواد أرض الهند ضاء بدایة

من نور أحد خيرة الأمجاد

الأمير سيد صديق حسن خان (١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م) له قصيدة

(العنبرية) في مدح النبي ﷺ يقول :

اخترت بين أماكن الغراء

دار الكرامة بقعة الزوراء

كيف الوصول إلى منازل طيبة

فيها لفتقر حصول رجاء

إنني عشقت على إقامة طامة

فمتى أفوز بجنة الدنياء

وألقي رحال في ربوع مدينة

وأدفن إكراماً بقيعاً معظماً

والشيخ أحمد حسن العرسي (١٨٦٠م) كان شاعراً قديراً من أبياته :

نسيم الصبا وافي سحراً مطيناً

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً

كأنك أنفاس المسيح بحسنهما

فأحييت صبا لم ينل قط مطلباً

أهل جئت من تلك الربى برسالة

فإن الصبا نعم الرسول لمن صبا

الشيخ حميد الدين الفراهي (١٣٤٩هـ) من كبار الأدباء والمفسرين للقرآن، كان كاتباً وشاعراً استفاد من الشيخ فيض الحسن السهارنفورى والعلامة شبلى النعmani، يقول متلماً بحوادث الحرب في طرابلس وتركيا والقدس :

البحث الإسلامي

دراسات وأبحاث

كيف القرار وقد نكس

أعلامنا بطرابلس

كيف القرار وحولنا

الأعداء ترتفب الخلس

يبغون قسطنطينية

وبعدها أرض القدس

نبكي على إخواننا

بين القتيل ومن حبس

هم أهلنا وعشيرتنا

أفيالمون ولا نحس

وأخيراً ذكر أبياتاً للرثاء بشاعر في العصر الحديث بالهند وهو

الشيخ عبد المنان (١٩٧٤م) رثى بها شيخه الشيخ حسين أحمد المدنى :

شمس الهدى والدين والعرفان

غابت وما طلت ! فيا حرمانى

يا من يحب حسين أحمد، حسبكم

ما جاء في الآثار، القرآن

صبراً، فإن الصبر، مفتاح النجاح

من الكمال وزينة الإنسان

لله ما أعطى، وما هو أخذ

بقضائه في عالم الإمكاني

كان التأثر والإعجاب متفاعلاً بين الأمتين الهندية والعربية في

الثقافة والأدب بشكل الإبداع والابتكار أدى إلى التنافس في تقديم نوادر

من ثمار العلم والعقل والفكر للقدرات والمهارات في اللغة العربية،

فنجد بين التفاسير للقرآن كتابين لا مثيل لهما هما: سواطع الإهام، وجب

شغب: أوهما : سواطع الإهام : ملك الشعراء في بلاط الامبراطور جلال

الدين أكبر أبو الفيض فياضي (١٠٠٤هـ - ١٥٩٥م) كان فارسي الأصل

٤٤- ج ٥٤ محرم وصفر ١٤٢٠هـ

بنابر وفبراير ٢٠٠٩م

اتجاهات في "العبارات والنظارات"

(الحلقة الأولى)

بقلم: الاستاذ رياض الدين عالم

(جامعة اللغة العربية واللغات الأجنبية حيدر آباد الهند)

توجه المنفلوطي إلى المقالة بمعانيها الواسعة، يعبر ويصور تصويراً صادقاً عن المؤس والجمود والفقر الاجتماعي في مقالاته، يعكس الصورة التي ترسم الفوضى في مصر، ويعتقد بأن الشعب المصري هي شعب جاهلون وخاشعون بمواجهة القضايا الإنسانية والاجتماعية، لهذا أراد المنفلوطي أن يسلك لهم طريقاً جديداً مبيناً إلى قضايا اجتماعية في العبارات والنظارات.

وفي بداية القرن العشرين بادر المنفلوطي بأعماله الأدبية، وبخاصة بعد الاتفاقية الثانية سنة ١٩٠٤م، وكان الشعب المصري يشعر شعوراً حاداً بوطأة الاحتلال الاستعماري، ويطمع ويتمنى باستعادة ماضيه الجيد وثقافته الدينية وعزتهم التراثية الفكرية وكرامتهم الوطنية، حتى بدأت تتناقل القبلات السياسية والتطورات الأدبية منذ مستهل النهضة، فالأدب الرومانسي الذي يتغنى بمجادل الأمم والهافتات التاريخية والقومية أخذ الأدباء والشعراء يتناولون صور حياة المؤس والفقير في أعمالهم الفكرية والأدبية، وفي هذه الفترة الحاسمة عالج المنفلوطي قضايا جديدة اجتماعياً ودينياً، منها: الأسى والمؤس والشقاء والفقير والمرض الذي ليحيط الشعب المصري فيики عليه ويدعو إلى التوعية والإصلاح وهذه الصورة تحلت في كتاباته العديدة ولا سيما في المقالات.

وهذا لا يخفى عن الباحثين بأن المنفلوطي لم يعرف ثقافات ولغات أجنبية، وكانت معرفته مقصورة على الثقافة العربية والأدب العربي فقط،

عرف بذاكرة وقاده نادر وطويل الباع في اللغات والعلوم الأخرى ألقا كتاباً كاملاً في تفسير القرآن الكريم في اللغة العربية، لم يرد فيه لفظ عليه نقطة (أي تفسير بدون نقط) له جزء أن فصوهما (سواطع) الجزء الأول في التفسير والجزء الثاني في علوم القرآن، أورد فيهما أسماء أخيه ووالده وتحاشى عن النقط مثلاً كان اسم أبيه (مبارك)، فكتب (مارك) لأن قبيلة عربية في الجنوب تستبدل (باء) بـ (الميم)، وهكذا قال عنه العلامة شibli النعmani: يدرك من قراءة هذا التفسير بأن ليفضي قدرة وأحاطة على اللغة العربية وأدابها، إلا لا يخرج القارئ بأي فائدة وعلم، وثانيهما: حب شغب: أو (فيض الغيب) لشيخ عبد الأحد بن إمام علي إله آبادي وهذا الكتاب تفسير للجزء الأخير من القرآن، وهو عكس سواطع الإلهام لم يرد فيه لفظ ليست عليه نقطة (أي مع النقط) وهو أيضاً يشير إلى علمه الجم وقدرته العجيبة على اللغة العربية وعلومها، ولكنه أكثر تعقيداً وإبهاماً من التفسير الأول، وأما معنى (حب شغب) (١) فالحب هو البئر، وشغب: بعيد ونائية عن الطريق، أي طراز جديد.

وأما العصر الحديث المعاصر فالدنيا تحولت إلى قرية، سهلت التلاقي والتواصل والتواجد، ويسرت الانتفاع والإفادة من مناهيل العلم وإنتجاتها وإصداراتها وندواتها، ومنها هذه الندوة العالمية التي نحن نسعد بالحضور والمساهمة فيها ونتشرف باللقاء مع الشخصيات الكريمة ونخبة ممتازة من الأدب والثقافة والعلم والفكر، ونتقدم بأجمل تحيات وأحلى تهاني وأجزل امتنان وتشكر إلى المنسقين لهذه الندوة الكريمة من أعلام ومسئولي كلية الآداب بجامعة الكويت، والله نسأل أن يرعاهم ويوفقهم لكل خير.

(١) بحث لكاتب المقال (الأداب العربية في الهند ٢٠٠٦م).

وأعماله الجادة حيث ظهر في شكل الكتابين الشهيرين باسم "العبارات" و "النظارات" اللذين يحتويان على الموضوعات والقضايا الاجتماعية والإنسانية ، منها في الدين والرثاء والأدب والمجتمع وحياة الفقر والبؤس والتشريد ، والفضل كله يرجع إلى نشأته الدينية وثقافته الإسلامية الواسعة وتجاربه وصحته الفياضة المستندة من رجل الفكر والدعوة والتربية في توجيه الشعب وتوعيته من النواحي كلها ، لهذا نجد أثر الثقافة والإصلاح الاجتماعي في كتاباته .

العبارات :

إن العبارات هي مجموعة تسع مقالات مؤلمة ومحزنة ، أربعة منها موضوعية وخمسة منها مترجمة ، يسكب الأديب الدموع في كافة المقالات ، إذ أنها تعكس رؤية مظلمة للمجتمع المصري بتلك الأونة التاريخية ، فهو تناول جوانب متنوعة للحياة الإنسانية في مصر ، تركز المقالات الموضوعية على الحب الصادق والوفاء الخالص ، تضيء الجوانب اللامعة للثقافة الشرقية ، تفضلها على الثقافة الغربية ، تلمس الأسلك الحساسة وتعالج المساوى للاستعمار ، فعلى سبيل المثال تحدث المنفلوطي من خلال مقالته "البيتية" عن الحب الصادق والوفاء الخالص وجمع فيها خبرات وتجارب مرة لليتيم في سبيل حبه مع ابنته عمه ولقائه مع العذاب الشديد للجريدة المعروفة ، لكنه تكلل بالنجاح بعد مماته إذ أنه حصل هدفه المنشود ، واجتمع تحت سقف واحد ذانك الصادقان الوفيان اللذان ضاق بهما في حياتهما فضاء القصر ، فوسعتهما بعد موتهما حفرة القبر .

وقارن المنفلوطي في مقالة "الحجاب" بين الثقافة الشرقية الإسلامية والثقافة الغربية التقديمية ، كان للمؤلف صديق عاش في أوروبا لمدة قصيرة يحب الثقافة الغربية ويكره الثقافة الإسلامية ، يريد أن يخرج

غير أنه لم يبعد نفسه عن القراءة في الآداب الأجنبية والكتابة عنها ، فطلب من بعض أصدقائه البارعين في اللغات الأجنبية أن ينقلوا له المواد من تلك اللغة إلى اللغة العربية ، وتمكن الأديب بهذه المساعدة من قبل الأصدقاء على ترجمة بعض القصص والروايات الغربية ولا سيما من الفرنسية أو الإنجليزية إلى لغة الضاد ، وما لا شك فيه بأن الأديب تأثر بالأدباء الرومانسيين كمثل روسيو (١٧٦٢-١٧٧٨) والفنونو دي لامارتين (١٧٩٠-١٨٦٩) وفيكتور هيجو (١٨٠٢-١٨٤٥) ودي موسية (١٨٥٧-١٨١٠) وشومان الألماني (١٨٥٦-١٨١٠) ، ويتجلّى هذا النفوذ من آثاره البارزة من أمثل قصة (برناردين دي سان بيير) بول وفوجيني التي ساهموا "الفضيلة" وترجمة قصة (الفونس كار) "ماجدولين" وقصة (آدمون روتان) "الشاعر" أو "سيرانودي برجراك" وقصة (فرانسواكبيه) "في سبيل التاج" وفي بعض المقالات الواردة في العبارات والنظارات (١) .

دعا المنفلوطي الشعب العربي والإسلامي إلى الفضيلة والعدالة والنصرة للفقراء ونقد الأغنياء في أسلوب رصين حافل بالانفعال العاطفي في مقالاته ، وقد تناول المأساة الاجتماعية والدينية بكتاباته في قالب روائي جميل بعد الحذف والإضافة في قصصه ومقالاته المترجمة ، وقدمها لقارئه بأسلوب يستهوي القلوب ويترك أثرا عميقا في نفوس الشعب ، يقال بأن هذه المأساة خير ما أخرج للناس من عهد جان راسين (١٦٣٩-١٦٩٩) إلى يوم ظهورها (٢) .

تناول المنفلوطي الاتجاه الاجتماعي والفكري في كثير من انتاجاته

(١) للتفصيل راجع "مدخل إسلامي لدراسة الأدب العربي المعاصر" للدكتور إبراهيم عوضين ص ٢٤١ .

(٢) للتفصيل راجع "أعلام النشر والشعر في العصر العربي الحديث" محمد يوسف كوكن ج ١ / ص ٢٢٧ .

المرأة من الظلام إلى النور ولا يجب الحجاب لها، لكنه وجد مرة أن زوجته ارتكبت عملاً شنيعاً مع أحد من أصدقائه فهو أدرك بأنه مسؤول عن هذه الحادثة وهو الذي فتح باب البيت لصديقه، وبذلك أثبت المؤلف بأن الثقافة الإسلامية تتفوق على الثقافة الغربية.

وتحدث المنفلوطي في مقالة "الهاوية" عن مصاحبة الأشرار وتأثير الخمور في الحياة الإنسانية، كان صديقه متمسكاً بالإسلام ولكن بسبب مصلحته مع الأشرار والمفسدين أصبح يشرب الخمر، وبذلك فقد قوته البدنية وأصبح فقيراً مؤلماً محزوناً مجذوناً بأثر الخمر، لا يجيء إلى البيت إلا في أواخر الليل سكيراً، فتحول ذلك الأب الرحيم والزوج الكريم إلى أبي قاس وزوج سليط وسقيم ضعيف، فقد شعوره خيراً وشراً، أما زوجته المسكينة لم تستطع أن تصلحه فأصابت بحمى النفس وفاضت روحها إلى السماء، وفي هذه الساعة دخل عليها الرجل وزأى شبح الموت، فصرخ صرحاً شديداً وخرج هائماً مجذوناً وسقط على الأرض وبدأ تفحص التراب برجليه وبين أنين الذبح.

وتناول المنفلوطي في مقالة "العقاب" قضية ظلم المستبددين مشيراً إلى المساوي للاستعمار، من خلال السرد البليغ أثبت بأن الأمير والكافن والقاضي (الشخصيات التي وردت في المقالة) يرتكبون الجرائم في الحقيقة ويفرضونها على الآخرين، وبهذه الحكاية قام المؤلف بإيقاظ الشعب المصري ضد الاستعمار الإنجليزي.

أما من خلال المقالات المترجمة التي ليست مترجمة بمعناها الحقيقي يريد المنفلوطي أن يوضح مسألة الخداع، مظالم الأقوياء على الضعفاء والاعتزاز بالجed الماضي وعظمته والمنزلة الاجتماعية بين الناس، فهو صورة خداع في مقالة "الشهداء"، إذ أنه لقي امرأة مسكونة ولها ابن صغير وأخ شقيق، غادرها أحواها لا تعرف مصيره وظللت تعيش حياة محزونة حتى

٤٥ - ج ٥٤ هـ محرم وصفر ١٤٣٠ م ٢٠٠٩

يناير وفبراير ٢٠٠٩ م

٥٢/٥٢

ضعف بصرها، وبيست أطرافها وأظلمت حياتها وت بكى على أخيها ثم غادرها ابنها ليقتضي عن أخيها، سار الولد وطناً بعد وطن حتى وصل جزيرة موحشة مفقرة، لما مر بقبيلة من قبائل "الزنج" فهمجت عليه وجست في "سجن الانتقام"، هكذا انقطع هذا الولد البائس عن عالم كله خيراً وشراً ونسى كل شيء حتى أمه التي تتضرر لعودة أخيها، بعد نزعه من السجن، وصل إلى المجتمع وطار خياله إلى أمه وراء البحر فدرفت عيناه دمعة ثم لقي بها بنتاً مؤللة محزنة وعرف منها بأنها ابنة خاله، قتل أبوها أمام عينيها ثم أصابت البنت بحمى البرد حتى ماتت فقل الولد بصوت عل بأنها هلكت بطلما الناس فأظهر الولد حبه عليها وقبلها فمات شهيداً بخداع الناس.

ورسم المؤلف في مقالة "الذكرى" الجد المفقود لبني الأحمر أسرة ملكية تاريخية من خلال حكاية أبي عبد الله من بني الأحمر بإضاءة استغلال المسلمين العرب على أيدي المسيحيين الطاغيين المستبددين، إذ أن أبي عبد الله آخر ملوك غر ناطة كان يهرب من أندلس إلى أفريقيا مع أهله بعد انهزامه جيوش فرديناند باكيًا وحزيناً، وقعت عيونه على شيخ يقف تلقاء باب مغاراة من مغارات الجبل لرؤيته منذ سبعة أعوام، يكشف الشيخ عوامل الخطاط السلطة الإسلامية بصورة أليمة محزنة وكان تدفق الدموع على خديه وتبتل ثيابه في العرق.

بعد عشرين عاماً شد "سعيد" عضو من بني الأحمر أزره إلى الأندلس ليشاهد تذكرة أسرته فيها، فلقي بها بنتاً معروفة بفلورندا في القصر، وقد عرف منها بأن أبيها كان موظفاً حكومياً في البلاط الذي قتل في ظهرة الشمس، حتى هي أصبحت كنيسة في القصر.

ذات يوم جلس سعيد معها على ساحل "شنيل"، فمر بهما

سكتها في يوم باعت عرضها ، إن هذه الفكرة الدائمة أضمرتها وسببت
فيها الأمراض وهي تنقلت إلى حمامات البانسيير للاستشفاء بمائتها و هوائتها ،
حتى لقيت مرغريت بها الدوق موهان الذي أخذها ابنة كما لقيت شابا
اسمه أرمان في ملعب التمثيل و وقعت في حبه الشديد لكن والله دومان لم
يوفق على زواجها مع ابنه أرمان بسبب البوء في الوضع الاجتماعي ، وفي
النهاية رجعت مرغريت إلى وطنها و عاشت فيه حياة مؤلمة محزنة بسبب الحب ،
غير أن الرسائل تواصلت بين الفؤادين والقلوبين .

وفي "مذكريات مرغريت" جمع المؤلف الرسائل التي كتبها مرغريت إلى أرمان وعبرت مرغريت فيها عن حبها مع أرمان إذ أنها لا تخلو دقيقة وهو لا تذكره وذلك أيضاً بدون إجابة عن رسائلها من أرمان لما وجد رسالة وحيدة فطار إلى مرغريت لرؤيتها ولكنه لم يجدها إلا جسدها الميت.

النَّظَرَاتُ :

إن النظارات أيضاً مجموعة مقالات للسيد مصطفى لطفي المفلوطى ، مشتملة على ثلاثة أجزاء يحتوى الجزء الأول على ٤٠ مقالة ، والجزء الثاني يضم ٦٤ مقالة ، أما الجزء الثالث فهو يحتضن ٣٥ مقالة فقط ، كمثل العبرات تشمل هذه الأجزاء الثلاثة للنظارات بعض المقالات المترجمة أيضاً ، ويتبين من المقالات الواردة في الأجزاء المذكورة للنظارات بأنها مرأة صادقة للمجتمع المصرى ، فلم يكن الأديب كاتباً محضاً وإنما كان مبلغاً لما شاهدت عيناه في الأوساط الاجتماعية المصرية ، تذرف الدموع من عينيه على الكوارث الخلقية الأليمة ما كانت تحدث في الظروف الاجتماعية ، وترشح النزعات الدينية التي تمسك بها الأديب في مقالاته ، تدور كمية كبيرة من مقالاته حول المشاكل الاجتماعية وعلى رأسها مساوتها .

(للحاديٰ صلة)

البحث الإسلامي

الدون رودريك ابن حاكم غرناطة الذي أظهر رغبته في الزواج معها غير أنها أنكرت بسبب انتتمائه إلى أسرة قتلت والدها، بسبب الرفض ظلم رودريك عليها فحارب سعيد ضده وقتل في تلك المعركة وماتت هذه البنت الكنيسة المظلمة بتأثير حبها معاً، ولا تزال حفرة هذه الكنيسة المظلومة بجانب مقابر بنى الأحمر تدل على جبها الحقيقي مع الأسرة الملكية المسلمة وتخلد للناس ذكرها وترمز إلى مجدها عظمتها الخالدة.

وصور المؤلف في مقالة "الجزاء" ظلم الأغنياء على الفقراء واستغلالهم على أيديهم اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، إن سوزان، بطلة الحكاية التي كانت في الحب والغرام مع حبيبها جلبرت وقعت في شبكة خداع مركيز، من أعيان المدينة الذي تزوجها وغادر المنزل بعد مدة قصيرة وطال غيابه حتى رزقت سوزان بنتاً، مع عودته رفض مركيز حبه معها وأخرجها من القصر، فتوصلت سوزان إلى شاطئ البحر ولقيت حبيبها الحقيقي جلبرت الذي لقي مصرعه فوضعت سوزان ابنته على صخرة وألقت نفسها في الماء، هكذا قضت سوزان على حياتها بخداع ونفاق المركيز الغني، وعلى هذا النحو كشف المؤلف المساوي الاجتماعية مثل الخداع والغش والنفاق.

وعكس المؤلف من خلال مقالة "الضحية" الوعي لصيانة الوضع الاجتماعي ومعاملة الأثرياء مع المعذبين في الأرض ، كانت بطلة الحكاية مرغريت في بداية حياتها امرأة صالحة ، ذات شخصية شفافة لا تملك شيئاً من المال والثروة وعاشت بين الألم والحزن ، لم تكن لها صديق ولا معين من أجل التغلب على أزمتها الاقتصادية ، فاتخذت طريقة موسم واكتسبت أموالاً طائلة حتى أصبحت كوكباً في سماء باريس ، لكنها لم تكن راضية عن حياتها المتحولة لأن هذا الشرف والثروة لا تستوي بدمعة واحدة التي

ومن هنا يتتحتم علينا أن نعرف ما معنى خسف الأرض وما توجيهه؟ وكيف ومتى يحدث؟ أما المعنى اللغوي للخسف فهو: "الخسف سُؤوخ الأرض بما عليها" (٤).

"خسف المكان يخسف خسوفاً : ذهب في الأرض" (٥).

كما سبق أن بينا بأن الاحترار العالمي يتسبب إلى ذوبان الصفائح الجليدية على نطاق واسع، ومن ثم يلحق الأخطار الكبيرة الضخمة في الازن الثابت Isostacy في الحقيقة، وإن ظاهرة وقوع كثرة الزلازل وانفجار البراكين أيضاً تتسبب من جراء هذه الظاهرة كما سبق تفصيلها فيما مضى، وإن الاكتشافات الجيولوجية واكتشافات علم البحار قد قامتا بتصديق نظرية "الخسف" الواردة في الأحاديث النبوية بوجوه مختلفة، فوفقاً لهذه التوجيهات قد يمكن وقوع حوادث الخسف لأحد الأسباب الثلاثة التالية وتكون نوعيتها عالمية، وهي على ما يأتي:

- ١- خسف الجزء القاري بسبب ارتفاع مستوى البحر.
- ٢- خسف القشرة الأرضية.
- ٣- خسف الجزء القاري بسبب خروج غاز هيدرات.

الآن نقوم باستعراض كل من هذه التوجيهات الثلاثة على وجه الاختصار، إن شاء الله تعالى.

خسف الجزء القاري بسبب ارتفاع مستوى البحر :

كما سبق أن أسلفنا بأن الاحترار العالمي يؤدي إلى ذوبان الصفائح الجليدية وبالتالي فإنه يسبب أيضاً ارتفاع مستوى البحر في النهاية، ومن ثم فإن هذه الظاهرة نفسها تتسبب في إلحاق الأخطار الكبيرة الضخمة في الازن الثابت Isostacy للأرض، وإن الحوادث المهمة التي تقع من جراء وقوع هذا الوضع هي: كثرة الزلازل، وانفجار البراكين، وخسف الجزء

(٤) لسان العرب: ٦٧/٩ . (٥) تاج العروس: ص/٥٧٩٨ .

كثرة حوادث الزلازل والبراكين وخسف الأرض ، دراسة في الأحاديث النبوية والدراسات الجيولوجية الحديثة

(الحلقة الثانية الأخيرة)
بتكلم : الاستاذ أنيس الرحمن الندوى
(الأكاديمية الفرقانية بتحولور "المهد")

حوادث خسف الأرض :
إننا نجد مظهراً آخر في الأحاديث الشريفة يتصل بالارتفاع والتصاعد في حوادث الزلازل والبراكين نتيجة لذوبان الصفائح الجليدية للكرة الأرضية وهو: مظاهر كثرة حوادث خسف الأرض في المناطق المتعددة للكرة الأرضية، فقد وردت أحاديث متعددة في هذا الشأن وكلها تصرح بأنه تكثر حوادث الخسف قرب القيامة:

فعن طارق بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: "بين يدي الساعة مسخ وخشوف وتدف" (١).

وروى الحاكم في مستدركه أنه سأله سائل رسول الله ﷺ عن أشرط الساعة، فأجابه رسول الله ﷺ :

"القذف والخسف والرجف" (٢).

إن هذه هي الحوادث العامة لوقوع الخسف على وجه الأرض، وإن الحوادث الأخرى الكبرى في الخسف ذكرت في الأحاديث الشريفة ضمن عشرة أشرط كبرى للساعة، ومنها ما يلي:

عن حذيفة بن أسد ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لا تكون الساعة حتى تكون عشر آيات: خسف بالشرق، وخسف بالغرب، وخسف في جزيرة العرب" (٣).

(١) سنن ابن ماجة، رقم الحديث: ٤٠٥٩ . (٢) مستدرك الحاكم ، ٤٦٥/٤ ، رقم الحديث: ٨٢٩٣ .

(٣) صحيح مسلم؛ ومسند أحمد؛ وسنن الترمذى؛ وصحيح ابن حبان؛ وسنن النسائي؛ وسنن ابن ماجة .

الأرض وكلما يزيد وزنها فيغوص أكثر جزءه في وشاح الأرض بسبب انقلابها، وإن حالة الصفائح الجليدية مثلها أيضاً، ولذلك فإن القشرة الأرضية الواقعة تحت الصفائح الجليدية غائرة في أعماق الأرض أكثر بسبب تواجد تلك الصفائح الجليدية الثقيلة على القشرة الأرضية، وكلما تذوب هذه الصفائح الجليدية نتيجة للتقلبات الموسمية والاحترار العالمي فإن الثقل يقل على القشرة الأرضية وينبأ الجزء الغائص في وشاح الأرض تحت انقلابها في العودة إلى الظهور فوق سطح البحر على نطاق واسع.

All over the world evidence is stacking up that changes in global can and do affect the frequencies of earthquakes, volcanic eruptions and catastrophic sea-floor landslides (6).

"إن الشواهد والأدلة تتجمع من جميع أنحاء العالم على أن حوادث الزلازل والبراكين والانزلاق الأرضي الخطير على قاع البحر تحتمل أن تتزايد بل ستكون بالفعل نتيجة للتغيرات الموسمية العالمية".

وإن هذه الحوادث قد بدأت تحدث على نطاق كبير بسبب ارتفاع سطح البحر على مقياس دني، فحسب الخبراء أن الارتفاع في الاحترار العالمي سيؤدي إلى ازدياد وقوع هذه الحوادث على درجة رهيبة في السنوات القادمة.

خسف القشرة الأرضية : Sinking of the Crust

يجب علينا أن نفهم أولاً نظرية لعلم الأرض ليسهل علينا فهم هذا المظاهر، وتعرف هذه النظرية بتوافر القشرة الأرضية Isostacy of the Crust ، فإن القشرة الأرضية Crust تقع على طبقة لدنة أكثر كثافة متواجدة تحتها وتدعى الوشاح mantle في صورة الألواح التكتونية حسب النظرية المذكورة أعلاه، فمن هنا أيديما يوجد الثقل أكثر على وجه المكرة الأرضية فتندفع الصخور القشرية إلى داخل الأرض أكثر وأعمق، مثل جبال الكرة الأرضية القائمة على القشرة الأرضية، فإنها كلما يرتفع أكثر على سطح

ال الأرض وكلما يزيد وزنها فيغوص أكثر جزءه في وشاح الأرض بسبب انقلابها، وإن حالة الصفائح الجليدية مثلها أيضاً، ولذلك فإن القشرة الأرضية الواقعة تحت الصفائح الجليدية غائرة في أعماق الأرض أكثر بسبب تواجد تلك الصفائح الجليدية الثقيلة على القشرة الأرضية، وكلما تذوب هذه الصفائح الجليدية نتيجة للتقلبات الموسمية والاحترار العالمي فإن الثقل يقل على القشرة الأرضية وينبأ الجزء الغائص في وشاح الأرض تحت انقلابها في العودة إلى الظهور فوق سطح البحر على نطاق واسع.

The formation of ice-sheets can cause the Earth's surface to sink. Conversely, isostatic post-glacial rebound is observed in areas once covered by ice-sheets, which have now melted, such as around the Baltic Sea and Hudson Bay. As the ice retreats, the load on the lithosphere and asthenosphere is reduced and they rebound back towards their equilibrium levels way, it is possible to find former sea-cliffs and associated wave-cut platforms of metres above present-day sea level.

"إن تجمد الصفائح الجليدية يتحمل أن يكون سبباً لخسف سطح الأرض ، وبالعكس لوحظ القذف والوثب الجليدي عقبه (أي عقب ذوبان تجمد الصفائح الجليدية) في المناطق التي كانت مغطاة بالصفائح الجليدية ، وقد ذابت الآن تماماً ، كما لوحظ حول خليج بالتكم وخليج هدسون ، وعندما تذوب الجليد يخف الثقل من على الغلاف الصخري والغلاف الوهن الملتهب ويعودان (يتبان) إلى مستوى سطحهما التوازي ، ومن هنا فإنه أصبح من الممكن مشاهدة الصخور الخيطية والأرصفة المتصلة بها (التي كانت غائصة في الأرض في زمن ما) على ارتفاع مئات من المترات من مستوى سطح البحر الحالي " (7).

الأرضية بسبب ذوبان الصفائح الجليدية للأرض ما زالت في المرحلة الابتدائية حتى الآن ، وقد حدث فعلا نفس الشيء في تضاعف وكثرة الزلازل أيضاً حتى اكتشف العلماء بعد حدوثها بكثرة أنها تنجم عن ذوبان الصفائح الجليدية ، وبالتالي فإن فحصها واكتشافها مسئولية خبراء الأرض إلا أننا لو نرى خسف القشرة الأرضية sinking of crust مع صلتها بالألواح التكتونية tectonic plates يمكن أن نقول : إن الخسف يتحمل أن يحدث حيث تفصل حدود الألواح التكتونية حدود القارات والمحيطات وحيث توجد التشققات والتصدعات في القشرة الأرضية ، وفي ضوء هذه الوجهة يمكن أن نقول : إن حدود الألواح التكتونية تمر بالأماكن الثلاثة على وجه الأرض عبر نقطة تلاقي القارات والمحيطات وهي كما يلي :

- ١- في المغرب : مرت حدود الألواح التكتونية المختلفة بالساحل الغربي الكامل للقارة الأمريكية الجنوبية والشمالية .
- ٢- في الجزيرة العربية : إن حدود اللوح التكتوني تحيط بالجزيرة العربية الكاملة ، أي إن الجزيرة العربية الكاملة وحدها قائمة على اللوح التكتوني الواحد .
- ٣- في المشرق : مرت حدود اللوح التكتوني الواحد متصلةً بالساحل الشرقي الكامل لقارة يورياشيا (أوروبا وأسيا) .

يعد هذه المناطق نشطة جيولوجية geologically active areas أيضاً، فيمكن أن تكون علاقة تلك الحوادث الثلاثة لخسف الكبيرة بهذه المناطق الثلاث للكرة الأرضية ، والله أعلم بمراده .

خسف الجزء القاري بسبب خروج غاز هيدرات :

إن المظهر الآخر لخسف الجزء القاري قد اكتشف في ضوء التغيرات الجيولوجية البارزة نتيجة للحرارة العالمية المتزايدة ، وإنه يسبب نشأة موجات تسونامي الخطيرة تحت الماء نتيجة لخروج الغازات السامة المدفونة تحت القاع البحري مفاجئه وإنه يؤدي إلى الحدائق الواقية

لأن الصفائح الجليدية على الأرض تحيط بـ ٣٧٠ ، ٣٦١ ، ١٦ كيلو متر مربع تقريباً من الكره الأرضية ، وإن معدل سمكها يتراوح بين ٤ و ٥ كيلو مترات ، وكأنها السلسل الجليدية العملاقة في نفسها ، وإن مجموع حجمها يقدر بـ ١٠ . ٢ مليون كيلو متر مربع (٩ ملايين ميل مربع) ، ومن هنا فإنه لو ذابت هذه الجبال الجليدية للكرة الأرض تماماً (وهذا يمكن بارتفاع حرارة الكرة الأرضية إلى ٥ . ٣ درجات فقط (٨) لتنقل أنقذها الضخمة إلى مناطق الأرض الأخرى من المناطق المتجمدة في صورة الزيادة في سطح البحر ، ويقدر أنه يقع ارتفاع ١٣٠ مترًا (٤٢٥ قدمًا) تقريباً في مستوى سطح البحر الحالي ، وتستغرق بها جميع المناطق والمدن الساحلية (٩) ، ويقع أربعون في المائة من اليابسة الحالية من الكرة الأرضية تحت الماء تقريباً ، ومن ثم تلحق الأخطار الجديدة الكبيرة الضخمة في الاتزان الثابت equilibrium المتوازن حالياً للكرة الأرضية ، ومعنى ذلك : أن الجزء الذي كان غائراً في الأرض حتى الآن بسبب الصفائح الجليدية هو يظهر جلياً على سطح البحر ، ولكن ستقع الآن المناطق الأخرى للكرة الأرضية تحت أنقذها ، ولذلك يوجد احتمال قوي أن تبرز حوادث خسف الأرض على هذه القارات بسبب انتقال ذلك الثقل إلى تلك المناطق القارية ، وإن كثرة حوادث الزلازل والبراكين والانزلاق الأرضي على قاع البحر نتيجة مباشرة لزحمة هذا الاتزان الثابت الذي سبق تفاصيلها في السطور الماضية .

الحوادث الثلاثة الكبيرة للخسف :

أما ما يتعلق بالحوادث المخصوصة المذكورة في الأحاديث الشريفة لخسف الأرض ، فمن الصعب جداً أن نقول شيئاً فيها على وجه اليقين والجزم ، لأن الدراسات العلمية في اضطراب التوازن الثابت للكرة

landslides and thus tsunamis of over 15 m in height hitting our coasts (11).

"إن هناك أثراً ثانوياً لخروج غاز هيدرات ، لأنه حينما ينفجر مع الفرقعة والانفجار القوي ، وقد توجد شواهد وأدلة (جيولوجية) واضحة على ذلك ، لأنه لما خرج هذا الغاز الهيدرات المدمر في الماضي فكان سبباً لتكون تسونامي وانحدار الجزء الكبير للسطح القاري ، ولذلك لا يمكن لنا أن نرد احتمال كثرة وتصاعد حوادث الانزلاق الأرضي تحت الماء وتسونامي الخطير يرتفع 15 متراً أعلى ويتصادم مع سواحلنا نتيجة لهذا الغاز الخطير الذي استطاع عمله بسبب تزايد الحرارة العالمية المتزايدة .

يتضح جلياً من هذه العبارة أن الشواهد والأدلة العلمية والتاريخية متوافرة لحوادث انحدار السطح القاري أو خسفه بسبب خروج غاز هيدرات في تاريخ الأرض ، والتي حدثت مرات متعددة في تاريخ الكوكبة الأرضية نتيجة لتزايد الحرارة العالمية المصاعدة والتقلبات الموسمية (12) ، وإن دراسة هذه الحوادث البارزة في تاريخ الكوكبة الأرضية سهلت لنا جداً فهم إمكانيات واحتمالات حدوث هذه الحوادث في المستقبل أيضاً .

ولتكن هذه النكتة ملحوظة هنا بأن حوادث الخسف أينما تقع على وجه الأرض إنما تقع على سواحل القارات (اليابسة) فقط ، لأن هذه المناطق هي التي تقع فريسة لضغط الارتفاع في السطح البحري والأحداث الجيولوجية الأخرى ، ولو طالعنا الآن الآية التالية للقرآن الكريم في هذا السياق ، لتبرز هنا أهميتها القصوى نظراً إلى هذه الحقيقة الجيولوجية التياكتشفه العلم الحديث حيث يقول الله تبارك وتعالى متحدياً للإنسان :

ibid. (11)

(12) انظر للتفصيل على هذا الموضوع كتاب المؤلف تحت الطباعة : "التغيرات المناخية السابقة للكوكبة الأرضية : دراسة مقارنة بين القرآن ، والحديث والعلم الحديث" .

، فيمكن بيانه مفصلاً كالتالي : continental shelf إن غاز ميتهن methane توجد تحت محيطات الأرض بكمية هائلة ، ويعرف بغاز هيدرات gas hydrates ، وإنه غاز دفيء قوي للغاية ، وإنه سيؤثر الفضاء الأرضي بصورة رهيبة بالخروج من تحت القاع البحري إلى الفضاء الخارجي لسبعين :

الأول : إنه من المحمّل جداً أن يخرج هذا الغاز بسبب التصاعد في درجات الحرارة الخطيئة نتيجة لتزايد الحرارة العالمية الشديدة ، والثاني : من المحمّل أيضاً أن يكون اضطراب وزحمة التوازن الثابت للأرض سبباً لخروج هذا الغاز المدمر ، لأن أنتارتيكا وجرين لاندا والمناطق الجليدية الأخرى على النطاق الواسع بعد ذوبان صفائحها الجليدية نتيجة لتزايد الحرارة العالمية ، فيتسبب هذا التبدل في التوازن الثابت للأرض أيضاً في خروج هذا الغاز المدمر (10) .

وإن خطرين سيلحقان بالكرة الأرضية بخروج هذا الغاز ، الأول : الارتفاع المفاجئ الكبير في شدة الحرارة العالمية نتيجة لخروج هذا الغاز ، لأنه غاز دفيء قوي للغاية ، وتتضاعف طاقته من كARBON Dioxide اكسائده ٢١ مرة ، والخطر الثاني : إن السطح القاري يتأثر به تأثيراً سيئاً للغاية ، ويحتمل أن تنحدر جزءاً إلى المحيطات نتيجة لخروجه منفجرة متدفعه من القاع البحري :

There is another Secondary effect of gas hydrate release, because when it breaks down it can do so explosively. There is clear evidence in the past that violent gas hydrates releases have caused massive slumping of the continental shelf and associated tsunamis... Hence, we cannot rule out the fact that global warming could lead to an increased frequency of gas hydrate-generated submarine

﴿فَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ (الإسراء الآية ٦٨).

على كل ، فإن توازن القشرة الأرضية يتأثر تأثيراً سيناً من آثار الحرارة العالمية المتزايدة الخطيرة ، وتتخم عنه حوادث الزلازل والبراكين وتسونامي والانزلاق الأرضي تحت الماء وخفق القشرة الأرضية على النطاق الواسع ، وإنها لتتضاعف أكثر مع ارتفاع الحرارة العالمية ، ويؤدي إلى دمار شامل للكرة الأرضية وسكانها كما يرى العلماء في هذا الشأن ، فقد ورد وصف هذا الوضع الجيولوجي الرهيب قرب يوم القيمة في الحديث الشريف ، وهو كما يلي :

عن أبي زيد الأنصاري ، أن النبي ﷺ قال : والذي نفسي بيده ليأتين على هذه الأمة يوم يمسون فيه يتسائلون فيه من خسف الليلة ، كما يتسائل أهل الموتى من بقي من آل فلان ؟ (١٣) .

فمن هذه الوجهة ، إن العلم الحديث قام بالتصديق علىسائر بيانات القرآن والسنة بصدق حدوث ظاهرة الخسف على وجه شامل ، كما أن هذه الاكتشافات قد سهلت لنا فهم الظواهر الكونية المذكورة في القرآن والسنة ، ومن هنا فإنه يسطع إعجاز معارف القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حرفاً فحرفاً في ضوء الدراسات العلمية الحديثة ، فكذلك يتحقق علم قرب القيمة في نفس الوقت ، وكما يعلم منها وجود الإله العلم الخبير الذي لا يعزب عنه مثل ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر .

(١٣) مسند الحارث : ٢٧٨/٢ ، رقم الحديث : ٧٨٠ ؛ مسند الحارث (زوائد الفيضي) ، ٧٨٢/٢ ، رقم الحديث : ٧٩٤ ؛ وبغية البحث عن زوائد مسند الحارث ، لأبي بكر الفيضي ، رقم الحديث : ٧٨٠ ؛ المطالب العالية : ابن حجر العسقلاني ، ٦/١٣ ، رقم الحديث : ٤٦٢١ .

زكاة النقدين

الفقه الإسلامي :

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهور مصر العربية)

جاء في زكاة النقدين "الذهب والفضة" قول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفَضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُوَّنِي بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظَهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (سورة التوبة / ٢٥-٢٦) والزكاة واجبة فيهما نقوداً أكانا نقوداً أم سبائك أم تبراً ، متى بلغ مقدار الملوك من كل منهما نصاباً ، وحال عليه الحول وهو مرور سنة قمرية على وجوده في الملكية ، وكان فارغاً عن الدين وال حاجات الأصلية ، فمن ملك نصاباً من أحدهما وحال عليه الحول وجب عليه إخراج ربع العشر زكاة له ، والمعتبر في نصاب الذهب والفضة الوزن وليس القيمة .

أما عن نصاب الذهب ومقدار الواجب : فلا شيء في الذهب حتى يبلغ عشرين ديناراً ، فإذا بلغ عشرين ديناراً ، وحال عليها الحول ، وفيها ربع العشر ، أي نصف دينار ، وما زاد على العشرين ديناراً يؤخذ ربع عشرة كذلك ، فعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (ليس عليك شيء "يعني في الذهب" حتى يكون لك عشرون ديناراً ، فإذا كانت لك عشرون ديناراً وحال عليها الحول ففيها نصف دينار فما زاد فبحساب ذلك وليس في مل زكاة حتى يحول عليه الحول) رواه أحمد وأبو داؤد والبيهقي وصححه البخاري وحسنه الحافظ ، وعن زريق مولى بنى فزاره : أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه حين استخلف : خذ من مر بك من تجار المسلمين "فيما يديرون من أموالهم" من كلأربعين ديناراً ، ديناراً ، فما نقص ببحساب ما نقص حتى يبلغ عشرين ، فإن نقصت ثلث دينار "أي نقصت

نصاباً كاملاً سواء كان الموجود منهما أكثر من المادة الأخرى أم أقل ، إذا غش الذهب أو الفضة بغيرهما وراجعاً في الاستعمال رواج الخالص من الغش وجبت زكاتهما كالخالص سواء ، إذا خلط الذهب أو الفضة بمادة أخرى وكانت هذه المادة هي الغالية واستعمل الخليط للتجارة زكي زكاة التجارة ، إذا خلط الذهب أو الفضة بمادة أخرى كالنحاس مثلاً واستعمل نقوداً يتداولها الناس زكي زكاة النقود ، إذا خلط الذهب بالفضة ولم يمكن التمييز بينهما فإن كان الذهب غالباً اعتبر كله ذهباً ، وزكي زكاة الذهب إذا بلغ نصاب الذهب ، وإن كانت الفضة غالبة اعتبر كله فضة ، وزكي زكاة الفضة إذا بلغ نصاب الفضة (٢).

أما عن زكاة الحلي : فقد اتفق العلماء على أنه لا زكاة في الماس والدر والياقوت واللؤلؤ والمرجان والزبرجد ونحو ذلك من الأحجار الكريمة إلا إذا اتخذت للتجارة فيها زكاة ، واختلفوا في حلي المرأة من الذهب والفضة ، فذهب إلى وجوب الزكوة فيه أبو حنيفة وابن حزم إذا بلغ نصاباً ، استدلاً بما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، قال : أنت النبي ﷺ امرأتان في أيديهما أساور من ذهب ، فقال لهم رسول الله ﷺ (أتحبأن أن يسور كما "أي يلبسكم" الله يوم القيمة أساور من نار؟) قالتا : لا ، قال (فأدِيَا حَقَّ "أي زَكَاتِهِ" هَذَا الَّذِي فِي أَيْدِيهِمَا) ، وعن أماء بنت يزيد قالت : دخلت أنا وختالي على النبي ﷺ وعلىنا سوره من ذهب ، فقال لنا (أتعطيان زكاته؟) قالت : فقلنا : لا ، قال (أما تخافان أن يسوركم الله سوره من نار ؟ أديا زكاته) قال الهيثمي : رواه أحمد وإسناده حسن ، وعن عائشة قالت : دخل علي رسول الله ﷺ فرأى في يدي فتخات "أي خواتم" من ورق "أي فضة" فقال لي : (ما هذا يا عائشة؟) فقلت :

عن العشرين "فدعها ، لا تأخذ منها شيئاً ، واكتب لهم براءة بما تأخذ منهم ، إلى مثلها من المحول ، رواه ابن أبي شيبة ، قال مالك في المؤطأ : السنة التي لا اختلاف فيها عندنا أن الزكاة تجب في عشرين ديناراً كما تجب في مائتي درهم ، وبقدر نصاب الذهب بالموازين المصرية عشرون مثقالاً ، وهو يساوي ثانية وعشرين درهماً وأربعة أسابيع درهم ، إذ أن كل سبعة مثاقيل تساوي عشرة دراهم ، والدرهم يساوي ثلاثة جرامات واثني عشر من المأة من الجرام تقريراً فيكون النصاب بالجرام هو تسعة وثمانين جراماً وسبعين جرامات .

وأما عن نصاب الفضة ومقدار الواجب فيها : فلا شيء فيها حتى تبلغ مائتي درهم ، وهي تساوي ستمائة وأربعة وعشرين جراماً ، فإذا بلغت مائتي درهم ففيها ربع العشر ، وما زاد فبحسابه ، قال أم كثر فإنه لا عفو في زكاة النقد بعد بلوغ النصاب ، فعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (قد عفت لكم عن الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة "الفضة" من كل أربعين درهماً درهم ، وليس في تسعين ومائة شيء فإذا بلغت مائتين ففيها خمسة دراهم) رواه أصحاب السنن ، قال الترمذى : سألت البخاري عن هذا الحديث فقال : صحيح ، قال : والعمل عند أهل العلم ليس فيما دون حسنة أوقات صدقة ، والأوقية أربعون درهماً ، وحسن أوقات مائتا درهم .

ومن ملك من الذهب أقل من نصاب ، ومن الفضة كذلك لا يضم أحدهما إلى الآخر ، ليكمل منهما نصاباً ، لأنهما جنسان لا يضم أحدهما إلى الثاني ، كالحال في البقر والغنم (١) .

أما إذا خلط الذهب والفضة بشيء آخر فلا تجب الزكاة إلا في الأحوال الآتية : أن يبلغ الموجود من الذهب أو الفضة الحالحين في الخليط

(١) فقه السنة للسيد سابق ج ١ من ص ٣٣٩ إلى ص ٣٤٠ والإسلام وأركانه ليسين رشدي ص ١٢٧ و ١٢٦ .

(٢) الإسلام وأركانه ليسين رشدي ص ١٢٧ و ١٢٨ .

صنتهن أترين لك يا رسول الله؟ فقال (أتؤدين زكاتهن؟) قلت: لا، أو ما شاء الله قل (هو حسيك من النار) يعني لو لم تعذب في النار إلا من أجل عدم زكاة لكافها، رواه أبو داود والدارقطني والبيهقي، وذهب الأئمة الثلاثة إلى أنه لا زكاه في حلي المرأة بالغاً ما بلغ، فقد روى البيهقي أن جابر بن عبد الله سئل عن الحلي: أفيه زكاة؟ قال جابر: لا، فقيل: وإن كان يبلغ ألف دينار؟ فقل جابر: أكثر، وروى البيهقي أن أماء بنت أبي بكر كانت تحلى ببناتها بالذهب، ولا تزكيه، نحو من خمسين ألفاً، وفي المؤطراً عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن عائشة كانت تلي بنات أخيها، يتامى في حجرها، هن الحلي فلا تخرج من حليهن الزكاة، وفيه أن عبد الله بن عمر كان يحلى ببناته وجواريه الذهب ثم لا يخرج من حليهن الزكاة، قال الخطابي: الظاهر من الكتاب "القرآن الكريم" يشهد لقول من أوجها، والأثر يؤيده، ومن أسقطها ذهب إلى النظر، ومعه طرف من الأثر، والاحتياط أداؤها، هذا الخلاف بالنسبة للحلي المباح أما إذا كان حمراً، كحلي الزكاة للرجل، والأواني المصنوعة من الذهب والفضة، أو كان معداً لنواب الذهب وليس للاستعمال، أو بلغ حد الإسراف أو تكسر واحتاج إلى صياغة لإصلاحه، أو تكسر ولم ينوه مالكه إصلاحه، أو كان مشترى بنية الاتجار فيه، فعليه زكاة، أي إنهم قد اشترطوا لإعفاء الحلي من الزكاة أن يكون مستعملاً فعلاً، لمن يحل له استعماله، وأن يكون استعماله بنية التزين فقط، وألا يكون فيه إسراف عن حد العرف لمن يستعمله، وعلى ذلك فإننا نرى أن الاحتياط في هذا الشأن يوجب الاقتداء بمذهب الإمام أبي حنيفة (٣) ولقد فصل الشيخ

يوسف القرضاوي زكاة الحلي فقال: من ملك مصوغاً من الذهب أو الفضة نظر في أمره، فإن كان للاقتناء والاكتناز، ذخيرة للزمن، وجبت فيه الزكاة، لأنه مرصد للنماء فهو كغير المصوغ من السبائك والنقود المضروبة، وإن كان معداً للاستفادة والاستعمال الشخصي نظرنا في نوع هذا الاستعمال، فإن كان محرماً كأواني الذهب والفضة والتحف والتتماثيل وما يتخذه الرجل لنفسه من سوار أو طوق أو خاتم ذهب أو نحو ذلك وجبت فيه الزكاة، لأنه عدل به عن أصله بفعل غير مباح فسقط حكم فعله، وبقي على حكم الأصل، ومن الاستعمال المحرم ما كان فيه سرف ظاهر من حلي النساء، ويعرف ذلك بتجاوزه المعاد لمثل هذه المرأة في مثل بيتها وعصرها وثروة أمتها، وإن كان الحلي معداً للاستعمال مباح كحلي النساء في غير سرف وما أعد لهن، وخاتم الفضة للرجل، لم تجب فيه الزكاة، لأنه مال غير نام، ولأنه من حلقات الإنسان وزينته كثيابه، وأثنائه ومتاعه، وقد أعد للاستعمال مباح، فلم تجب فيه الزكاة كالعوامل من الإبل والبقر، ولا فرق بين أن يكون الحلي المباح مملوكاً لامرأة تلبسه أو تعيره أو يكون مملوكاً لرجل يحلّي به أهله أو يعيره أو يعده لذلك، وما وجبت فيه الزكاة من الحلي أو الآنية أو التحف يذكر زكاة النقدين فيخرج ربع عشرة ٢,٥٪ كل حول، وحده أو مع بقية ماله، إن كان له مال، وهذا بشرط أن يكون نصاباً أو يكمل بمال عنده قدر نصاب، وهو خمس وثمانون جراماً من الذهب، والمعتبر القيمة لا الوزن، لأن للصنعة أثراً في زيادة القيمة (٤) واختلاف الآراء حول العبرة في الذهب بالقيمة أو الوزن يدور مع مصلحة آخذ الزكاة وحيثما تكون المصلحة فشمة شرع الله.

(٤) فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة يوسف القرضاوي

ج ١ / ص ٣٠٣ و ٣١ .

(٣) فقه السنة للسيد سابق ج ١ من ص ٣٤١ إلى ص ٣٤٣ الإسلام وأركانه ليسين رشدي

ص ١٢٧ .

من فهم النظام كاملاً حتى تفهم الحدود، ولا يمكن تطبيق الحدود إلا مع تطبيق النظام الإسلامي كله، وإلا فلا ينسجم الأمر ولا تستقيم حكمة الله من شريعة .

سادساً: الحدود دعوة صريحة للتحلّق بالأخلاق الحسنة التي هي من مقاصد الدين ، وهي أيضاً طريق إلى التوبة إلى الله ، فالمذنب إذاً عوقب بعقوب الشارع الذي هو منسجم مع تكوينه وواقع وفق علم الله تعالى به وبنفسيته ، فإن هذا يخاطب قلبه ومشاعره بوجوب الرجوع إلى ربه ، ويكتفي ارتداع المسلم عن الجريمة ودخوله في رحمة ربه معرفته بأن ربه هو الذي شرع له هذا الحكم ، فإن هذا وحده من شأنه أن يجعله يتوب وينجذب إلى ربه ويصير مؤمناً بالله جل جلاله خاصة إذا علم أن هذا الحد يكفر عنه هذا الذنب .

سابعاً: الإسلام دين ، والحدود والتعازير إنما هي في كل دين بل وفي كل نظام قانوني ، ومن أراد على ذلك مثلاً فالتوراة مثلاً تأمر بحرق الزانية والرذانية إذا كانت ابنة كاهن ، ذلك قوله "إذا تدنست ابنة كاهن بالزنا فقد دنست أباها ، بالنار تحرق (اللاوين ٢١: ٩) ، ومن النظم القانونية من يأمر بقتل الخارج على النظام إلى غير ذلك .

ثامناً: الحدود عقوبات واعية تناسب مع النفس البشرية والعقوبات البديلة حالية من هذه القيم ، والآن نسوق بعض الأمثلة حتى يتضح الأمر على وجه أكمل .

حد السرقة :

إن النظام الإسلامي كل متكمّل ، فلا تفهم حكمة الجزئيات الشرعية فيه حق فهـ ١ إلا أن ينظر في طبيعة النظام وأصوله ومبادئه ، كذلك لا تصلح هذه الجزئيات فيه للتطبيق إلا أن يؤخذ النظام كاملاً ، ويعمل به جملة واحدة هذا ، بصفة عامة ، أما بالنسبة لحد السرقة : فإن الإسلام يقرر حق كل فرد في الحياة وحقه في كل الوسائل لحفظ حياته ،

تشريع الحدود في الإسلام

بقلم : الأستاذ تاج محمد خان الأزهري
(A. II 180/ Madangir New Delhi 62)

إن الدارس للإسلام وأحكامه يدرك حقائق أساسية لتشريع الحدود في الإسلام ، نحاول أن نشير إلى بعضها بإيجاز :

أولاً: الحدود في الإسلام إنما هي زواجر تمنع الإنسان المذنب أن يعود إلى هذه الجريمة مرة أخرى ، وهي كذلك تزجر غيره عن التفكير في مثل هذه الفعلة وتمنع من يفكر أن يقارب المذنب ، وهي أيضاً - نكل - "مانع من الجريمة على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة .

ثانياً: إن من المقرر لدى علماء الإسلام قاعدة "درء الحدود بالشبهات" أي جعل الظن والشك في صالح المتهم .

ثالثاً: ليس المراد بالحدود التشفي والتشهي وإيقاع الناس في الحرج وتعذيبهم بقطع أعضائهم أو قتلهم أو رجمهم ، إنما المراد هو أن تسود الفضيلة ، ومن هنا نجد الشرع الشريف ييسر في هذه الحدود ، فإذا اشتدت الظروف في حالات الجحود والخوف وال الحاجة تعطلت الحدود ، كما فعل سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في عام الرمادة ، ومن التيسير أيضاً أن الإسلام يأمر بالستر قبل الوصول إلى الحاكم ؛ قال رسول الله ﷺ لرجل يشهد على الزنا : (لو سترته بشوبك كان خيراً لك) .

رابعاً: الشريعة الإسلامية شريعة عامة لكل زمان ومكان ، والناس مختلفون في ضبط نفوسهم ، فلا بد من وجود عقاب رادع يضبط أصحاب النفوس الضعيفة من الوقوع في الجرائم والحدود والردة عن الإسلام حتى يسلم المجتمع من الفساد ظاهراً وباطناً .

خامساً: الحدود إنما هي جزء من النظام الإسلامي العام ، فلا بد

كان تافهاً لا يعتد به ، أو كان في غير حرز ، بل إن السارق في تلك الحالة يعزر بالضرب أو الحبس ، ولا تقطع يده ، والضوابط التي وضعتها الشريعة لإقامة حد القطع على السارق :

أولاً : أن يكون المسروق شيئاً ذا قيمة يحمل اعتباراً اقتصادياً في حياة الناس ، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : (قطع اليد أي يد السارق بربع دينار فصاعداً) .

ثانياً : أن يكون المسروق محروزاً ، أي محفوظاً في حرز.

ثالثاً : أن ما أخذ للأكل بالفم من التمر فهذا لا قطع فيه ولا تعزير.

رابعاً : السرقة في أوقات الجماعات لا قطع فيها ، ولذلك أبطل عمر رضي الله عنه القطع في عام الرمادة حينما عممت الجماعة .

خامساً : العبد إذا سرق شيئاً ينظر هل سيده يطعمه أم لا ؟ فإن كان لا ، غرم سيده ضعف ثمن المسروق كما فعل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غلمان ابن حاطب بن أبي بلتعة حينما سرقوا ناقة رجل من مزينة ، فقد أمر بقطعهم ولكن حين تبين له أن سيدهم يجعهم دراً عنهم الحد وغرم سيدهم ضعف ثمن الناقة تأدباً له ، والقاعدة أن الحدود تدرأ بالشبهات ، وهكذا ينبغي أن تفهم حدود الإسلام في ظل نظامه

المتكامل الذي يتخد أسباب الوقاية قبل أن يتخد أسباب العقوبة ، فالحدود تنبع من وقوع الجريمة ، ولذلك نرى على مر التاريخ الإسلامي وعلى مساحة واسعة من بلاد المسلمين أن حد السرقة لم يطبق إلا في أضيق الحدود ، وبعدد محدود جداً لا يتجاوز العشرات مع كل هذه الملايين من البشر حيث استقر في وجدان المسلمين أن السرقة جريمة من الجرائم السيئة تهدد الأمن الاجتماعي والمجتمع في ذاته بحيث تستحق مثل هذه العقوبة البدنية التي تشبه عقوبة الإعدام ، وعلى قدر عظم الذنب والجريمة يكون عظيم العقاب ، وبعض المعاصرین ينطلقون من مفهوم معرفي آخر

ومن حق كل إنسان أن يحصل على هذه الوسائل : أولاً عن طريق العمل ما دام قادراً على العمل ، فإن لم يستطع أن يحصل أسباب الحياة فعلى المجتمع المسلم أن يوفر ما يحفظ حياته أولاً من النفقة التي تفرض له شرعاً على القادرين في أسرته ، ثانياً على القادرين من أهل محلته ، ثالثاً من بيت مل المسلمين من حقه المفروض له في الزكاة في نظام تكافلي للرعاية الاجتماعية والأمن الاجتماعي ، والإسلام كذلك يتشدد في تحديد وسائل جمع المال فلا تقوم الملكية الفردية فيه إلا على حلال ، ومن ثم لا تشير الملكية الفردية في المجتمع المسلم أحقاد الذين لا يملكون ، حيث يمكن لكل واحد أن يصبح غنياً بالوسائل المشروعة المتاحة والسوق التنافسية الشريفة ، والإسلام يربى ضمائر الناس وأخلاقهم ، فيجعل تفكيرهم يتوجه إلى العمل والكسب لا إلى السرقة ، وبذلك يحفظ مصالح الفرد والمجتمع معاً، إذن فلماذا يسرق السارق في ظل هذا النظام ، إنه لا يسرق إلا للطمع في الثراء ، من غير طريق العمل ، والثراء لا يطلب من - هذا الوجه الذي يروع الجماعة المسلمة في دار الإسلام ، ويحرمها الطمأنينة التي من حقها أن تستمتع بها ، ويحرم أصحاب المال الحلال أن يطمئنوا على مالهم الحلال ، فإذا سرق إنسان بعد هذا فإنه لا يسرق ولو عذر ، ولا ينبغي لأحد أن يرافق به متى ثبتت عليه الجريمة وأحيل أمره إلى النظام .

ونفس الإنسان فطرت على حب المال ، ولعل هذا هو الذي يدفع معظم الناس إلى العمل والكد ، والإسلام دائماً يقوم دوافع النفس حتى تتضبط إما بالترغيب أو بالترهيب ، من هنا حض الإسلام على الكسب الحلال ورغم فيه ورهب من السرقة بهذه العقوبة ، حتى يستقيم المجتمع بما فيه من بر وفاجر ، وفي الأثر (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) ، ولما كان قطع يد السارق يفضحه ويسميه باسمة السرقة ويطلع الناس على ما كان منه ، فقد أقام الإسلام حراسة على من يتهم بالسرقة ، فلا تقطع يده مع وجود شبهة في أنه سرق كما لا تقطع يده في شيء المسروق إذا

يقدم بدن الإنسان في ذاته بغض النظر عن أفعاله وجرائمها، وقد خفى عليهم كل هدي سليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

حد الزنا :

إن جريمة الزنا هي من أقذر الجرائم حتى أنكرها كل دين، بل وأنكرها العقلاة والراشدون من الناس، كما أنكرها أصحاب المدنية الغربية جهراً، وإن قبلوها سراً وذلك لما فيها من عدوان على حقوق الأزواج ومن اختلاط للأنساب وحل لروابط الأسرة وقتل لما في قلوب الآباء من عطف وحنان على الأبناء، ورعاية وبذل سخي لهم بما يبلغ حد التضحية بالراحة والنفس، الأمر الذي لا يكون إلا إذا ملأت عاطفة الأبوة قلوب الآباء، وذلك لا يكون إلا إذا وقع في قلوب الآباء وقوعاً محققاً أن هؤلاء الأبناء من أصلابهم، ثم لعلك لا تعجب لما تقرأ من الأخبار الواردة إلينا من أمريكا وأوروبا عن آباء قتلوا أولادهم بأيديهم وأتوا على الأسرة كلها في لحظة واحدة دون أن ينبض فيهم شعور بالتردد قبل الجريمة أو الندم بعدها، وذلك شفاء لما في نفوسهم من شكوك في صحة نسب هؤلاء الأبناء إليهم، حتى لقد تحولت هذه الشكوك إلى عواصف من الجنون الذي أفقد هؤلاء الآباء كل شعور إنساني نحو الأبناء الذين اختلطت بهم أنسابهم، وهياهات أن يخلو شعور أوروبي من الشك في نسبة أبنائه إليه مع هذه الإباحية المطلقة للجمع بين النساء والرجال في أي مكان وأي زمان.

فإذا أراد الإسلام أن يحارب هذه الجريمة برصد هذه العقوبة الرادعة

- الرجم للمحصن ، والجلد لغير المحسن - كان ذلك عند أعداء الإسلام تهمة شنيعة يرمونه بها ويحاكمونه عليها ليخرجوه من حدود الإنسانية المتحضرة إلى عالم سكان الغابة ورعاة الإبل والشياه في الصحاري، ويقولون : كيف يحكم الإسلام بإهدار آدمية الإنسان حتى يأمر بجلده على مرأئي ومسامع من الناس ؟ ثم كيف تصل الوحشية في قسوتها إلى أن

يلقى بالإنسان في حفرة ، ثم تتناوله الأيدي رجماً بالحجارة إلى أن يموت ، هكذا يقولون **﴿كَبَرْتُ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾** (الكهف) ولا ننكر أن في شريعة الإسلام حكم الجلد والرجم ، يقول الله تعالى : **﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوْا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةً جَلْدٌ وَلَا تَأْخُذُمْ بِهِمَا رَأْفَةً فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشَهَدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** (النور) ، وقل رسول الله ﷺ : (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلات : الشيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) ، والنظام الإسلامي كل متكامل لا تفهم جزئياته إلا في نسق واحد ، فإن الإسلام قد حرم النظر إلى "الأجنبيات" قل رسول الله ﷺ : (النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة ، فمن تركها من خوف الله أثابه إيماناً يجد حلاوته في قلبه) ، وكذلك أمر النساء ألا يظهرن الزينة إلا للأزواج أو الأقارب من الصلب الذين لا يخشى منهم فتنة ، قل الله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْهِنَّ﴾** ، وقل : **﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾** ، وأمر أيضاً ألا يختلي رجل بامرأة لا تحل له ، قل رسول الله ﷺ : (ما اجتمع رجل وأمرأة إلا كان الشيطان ثالثهما) ، وحرم أيضاً أن يمس الرجل امرأة لا تحل له ، فقال رسول الله ﷺ : (ولئن تضرب بمحيط في رأسك فتدمي به خير لك من أن تمس امرأة لا تحل لك) ، وقبل هذا كله فقد استطاع الإسلام أن يربى الضمير في الرجل والمرأة على حد سواء على ضوء ما جاء في قصة ماعزو العمادية .

والإسلام كذلك حرض الشباب على إخراج هذه الشهوة في منفذها الشرعي بالزواج ، فقال رسول الله ﷺ : (ياماً عشر الشباب من استطاع منكم البقاء فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) أي قاطع للشهوة ، وكذلك رخص للرجل أن يتزوج بامرأة واحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع مادام يملك النفقة

٤- رغبت الشريعة الإسلامية في إلقاء الستر على عورات المسلمين وإمساك الألسنة عن الجهر بالفواحش وإن كانت قد وقعت، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضُونَ دِينَهُ وَخَلْقَهُ فَرُوْجُوهُ) ، «إِلَّا تَفْعَلُوْهُ تَكُونُ فَتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادًا كَبِيرًا» ، وأمر الأغنياء أن يساعدوا الشباب في نفقات الزواج ، وقد قام الخليفة العادل عمر ابن عبد العزيز بتزويج الشباب والفتيات من بيت مال المسلمين ، هذا كلّه هو بعض ملامح الإسلام في تيسير أمر إخراج هذه الشهوة بطريق مشروع ، والحقيقة أن مثل هذه الشنيعة لا تحصل في المجتمع المسلم - الذي تسوده الفضيلة - إلا بعد تدبّر عظيم من كلا الطرفين ، يدل على إجرام كلا الطرفين ، ولكن مع كل هذا فإن شريعة الإسلام قد وضعت شروطاً، يصعب توافرها قبل إيقاع العقوبة ، فإن لم يتتوفر مجتمعاً لا يقام الحد على صاحب هذه الفعلة ، جلداً كان أو رجحاً وهذه هي الشروط :

١- لا بد حتى تثبت الجريمة من شهادة أربعة شهود عدول يشهدون بأنهم رأوا من الرجل والمرأة ما يكون بين الرجل وزوجته من اتصال مباشر ، الأمر الذي لا يكاد يراه أحد من البشر ، وكأن الشريعة لا ترصد هذه العقوبة على هذه الفعلة بوصفها ولكنها ترصدها على شيوخ هذه الفعلة على الملايين من الناس بحيث لا يعي بين الناس من لا يعرف معرفة ولا ينكر منكراً .

٢- إن الشريعة الإسلامية تقرر درء الحدود بالشبهات بمعنى أن أي شك في شهادة الشهود يفسر لصالح المتهم فيسقط بذلك الحد ، قال رسول الله ﷺ : (ادرعوا الحدود بالشبهات) .

٣- فرضت الشريعة عقوبة الجلد ثمانين جلدة على من قذف محصنة ثم لم يأت بأربعة شهود بإنهم رأوا منها ومن المقدوف بها ما يكون بين الزوج وزوجته ، قال الله تعالى : «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلُدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبِلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (سورة التور الآية/٤) .

والمحتجون عن حقوق الإنسان يقولون لا بأس من أن يحبس فترة من الزمن ثم يخرج لكي يمارس عمله ، ولا يعلمون أن مثل هذا الحبس سوف يمكنه من أن يخالط من هو أجرم منه ليتعلم منه ويعمله ويخرجان إلى المجتمع بعد أن أصبحا إمامين في الضلال ليضلا الناس وهذا هو المشاهد ، فضلاً عن الذي يترتب على الحد من تفكير لهذا الذنب ، وإن المتبع لا يجد هذه العقوبة قد نفذت "حال تنفيذ العقوبات" إلا في أعداد محدودة ولا ضرر في هذا ما دام قد وفر الأمان والاستقرار للمجتمع .

حد الردة :

إن الإسلام يقرر حرية اختيار الدين ، فالإسلام لا يكره أحداً على أن يعتقد أي دين يقول الله تعالى : (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) غير ما هنالك أن الإسلام لا يقبل الشرك بالله ولا يقبل عبادة غير الله ، وهذا من صلب

بقول رسول الله ﷺ فيه : (التارك لدينه المفارق للجماعة) ، وكلمة المفارق للجماعة وصف كاشف لا منشى ، فكل مرتد عن دينه مفارق للجماعة ، ومهما يكن جرم المرتد فإن المسلمين لا يتبعون عورات أحد ولا يتسررون على أحد بيته ولا يحاسبون إلا من جاهر بلسانه أو قلمه أو فعله مما يكون كفراً صريحاً لا مجال فيه لتأويل أو احتمال ، فائي شك في ذلك يفسر لصلاحة المتهم بالردة ، إن التهاون في عقوبة المرتد المعانل لردمته يعرض المجتمع كله للخطر ويفتح عليه باب فتنه لا يعلم عواقبها إلا الله سبحانه ، فلا يلبث المرتد أن يغير بغيره ، وخصوصاً من الضعفاء والبساطاء من الناس ، وت تكون جماعة مناوئة للأمة تستبيح لنفسها الاستعانة بأعداء الأمة عليها وبذلك تقع في صراع وتمرد فكري واجتماعي وسياسي ، وقد يتطور إلى صراع دموي بل حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس .

ووجهور الفقهاء قالوا بوجوب استتابة المرتد قبل تنفيذ العقوبة ، وحددها بثلاثة أيام وبعدهم بأقل وبعدهم بأكثر ومنهم من قال يستتاب أبداً ، واستثنوا من ذلك الزنديق ؛ لأنه يظهر خلاف ما يبطن فلا توبة له وكذلك سأب الرسول ﷺ حرمة رسول الله وكرامته فلا تقبل منه توبة ، وألف ابن تيمية كتاباً في ذلك أسماه "الصارم المسلول على شاتم الرسول" والمقصود بهذه الاستتابة إعطاؤه فرصة ليراجع نفسه عسى أن تزول عنه الشبهة وتقوم عليه الحجة ، ويكلف العلماء بالرد على ما في نفسه من شبهة حتى تقوم عليه الحجة إن كان يطلب الحقيقة بإنخلاص ، وإن كان له هوى أو يعمل لحساب آخرين ، يوليء الله ما تولى .

هذا والله تعالى أعلم

والردة عن الإسلام ليست مجرد موقف عقلي ، بل هي أيضاً تغيير للولاء وتبديل للهوية وتحويل للانتقام ، فالمرتد ينقل ولاءه وانتقامه من أمة إلى أمة أخرى فهو يخلع نفسه من أمة الإسلام التي كان عضواً في جسدها وينقم بعقله وقلبه وإرادته إلى خصومها ، يعبر عن ذلك الحديث النبوي

حقيقة الإسلام باعتبار كونه ديناً من عند الله جل وعلا ، ومع ذلك يقبل النصارى واليهود ولا يقاتلهم أحد على ما هم عليه ولكن يدعوههم إلى الإسلام ، كما أن الإسلام لا يبيح الخروج من دخل في دين الله ، ولا يكلف أحداً أن يجهز بنصرة الإسلام ، ولكنه لا يقبل من أحد أن يخندل الإسلام ، والذي يرتد عن الإسلام ويجهز بذلك فإنه يكون عدواً للإسلام والمسلمين ومعلناً حرباً على الإسلام والمسلمين ، ولا عجب أن يفرض الإسلام قتل المرتد ، فإن كل نظام في العالم حتى الذي لا ينتمي لأي دين تنص قوانينه أن الخارج عن النظام العام له عقوبة القتل لا غير فيما يسمونه بالخيانة العظمى ، وهذا الذي يرتد عن الإسلام في معاناته وجهز بارتداده ، إنما يعلن بهذا حرباً على الإسلام ويرفع راية الضلال ، ويدعو إليها المنفلتين من غير أهل الإسلام ، وهو بهذا محارب للمسلمين يؤخذ بما يؤخذ به المحاربون لدين الله ، والمجتمع المسلم يقوم أول ما يقوم على العقيدة والإيمان ، فالعقيدة أساس هويته ومحور حياته وروح وجوده ، وهذا لا يسمح لأحد أن ينال من هذا الأساس أو يمس هذه الهوية ، ومن هنا كانت الردة المعلنة كبرى الجرائم في نظر الإسلام لأنها خطر على شخصية المجتمع وكيانة المعنوي ، وخطر على الضرورة الأولى من الضرورات الخمس : "الدين والنفس والنسل والعقل والمال" ، والإسلام لا يقبل أن يكون الدين العوبة يدخل فيه اليوم ويخرج منه غداً على طريقة بعض اليهود الذين قالوا : **«آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجْه النَّهَارِ وَأَكْفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»**

وضح النهج

- شرح قصيدة نهج البردة للأستاذ الأكبر الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر -
(الحلقة الثانية عشرة)
بقلم: الدكتور الأستاذ غريب جمعة
(جده - المملكة العربية السعودية)

والباطل بمعنى تحقيقه الحق وإدحشه الباطل .
كان عمر رضي الله عنه أعدل الناس وأمضاهم في الحق وأرعاهم لإقامة حدود الله تعالى ، واستقصاء أخباره في هذا الباب مما يطول به القول ، وفي هذا المثل الذي نرويه لك غنى وكفاية يعرف منه من لا يعرف عمر رضي الله عنه كيف كانت شدته في الحق وإسراعه إلىأخذ الناس بالعدل بالغين ما بلغوا من عظم القدر ونهاية الذكر .

روي أن جبلة بن الأبيهم بن أبي شر الغساني آخر ملوك الغسانيين لما أراد الإسلام أقبل إلى المدينة المنورة في خمسائه فارس عليهم ثياب الوشى وهو لا يلبس تاجه وفيه قرط مارية ففرح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بإسلامه وفرح المسلمين وخرجوا لتلقائه حتى حضر الموسم من عامه ذلك مع عمر رضي الله عنه ، وبينما هو يطوف بالبيت إذ وطيء على إزاره رجل من بني فزاره فحله ، فلطممه جبلة ، فهشم أنفه فاستعدى عليه الفزارى عمر ابن الخطاب ، فبعث إليه ، فقال : ما دعاك يا جبلة إلى أن لطمت أخاك هذا الفزارى فهشمته أنفه ؟ فقال : إنه وطيء إزارى فحله ، فقال عمر : أما أنت فقد أقررت ، إما أن ترضيه وإلا أقدته (*) منك .

قال : أتقيد مني وأنا ملك وهو سوقه ، قال : يا جبلة إنه قد جمعك زايد الإسلام بما تفضل بشيء إلا بالعافية ، قال : والله لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية .

قال عمر : هو ذلك ، قال : أخرني إلى غد يا أمير المؤمنين ، قال : ذلك لك ، فلما كان جنح الليل خرج هو وأصحابه فلم يشن حتى دخل الفلسطينية على هرقل فتنصر وأقام عنده وباء بسوء الخاتمة .

(*) أقاد القاتل بالقتل : قتلته به قوداً (والقود) : القصاص .

(*) الدهقان : رئيس المدينة أو رئيس الإقليم .

هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسمى فاروقاً لفرقه بين الحق

ابن عبد العزيز :

هو عمر بن عبد العزيز (*) بن مروان الخليفة الأموي بويع له

(*) هذا بالنسبة لأبيه، أما بالنسبة لأمه - يرحمها الله فهي : أم عاصم ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب - . وأمهما هي الفتاة الهمالية ابنة بانعة اللبن التي أبت أن تغشى اللبن بالماء كما أمرتها أمها حيث قالت لها : إن كان عمر لا يرانا فإن ربنا يرانا ، فلختارها أمير المؤمنين زوجة ولولده ، ولقد تأثرت أم عاصم بأصوتها فقد شبت في بيت أصيل في الطبر ، عريق في التقوى والهدى ، يفرق في الصلاح والورع وكيف لا يكون كذلك وهو بيت الفاروق ، فاكتسبت من ذلك البيت الحلال الحميضة والخصل الحميضة ، فنشأت على الصلاح والتقوى ، ونافت نفسها للزهادة والإباهة وداومت على العبادة فكانت لؤلؤة مشرقة في العقد العمري المضيء - يرحمها الله - وهنا يظهر تأثير الأم في تنشئة أولادها كأوضح ما يكون حيث ربت تلك الفاضلة أولادها على أخلاق الإسلام الكريمة وأرضعتهم مع لبنها - التقوى والإحسان ، والصدق والورع ، والنبل والمرءة والجود والكرم ، وحاولت جهدها أن تعلق أفتديهم وأرواهم بمجدهم العظيم عمر بن الخطاب فتجددت تلك الصفات والمكارم في ولدتها عمر بن عبد العزيز سبط عمر بن الخطاب ، لذلك شهد له بالفضل والنبل أعلام الأئمة في عصره والذين جاءوا من بعدهم .

• يقول الإمام النووي (١) - يرحمه الله - عنه .

• " وأجمعوا على جلالته وفضله ووفر عمله وصلاحه وزهده وورعه وعدله وشففته على المسلمين وحسن سيرته فيهم وبذله وسعه في الاجتهاد في طاعة الله وحرصه على اتباع آثار رسول الله ﷺ والاقتداء بسننه وسنة الخلفاء الراشدين " .

• يقول الإمامان سفيان الثوري والشافعي (٢) :

• " الخلفاء الراشدون خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز " .

• يقول أنس بن مالك (٣) :

• " ما صليت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله من إمامكم هذا في واد سحيق .

يعني عمر بن العزيز " .

• يقول الحسن البصري (٤) :

• " ما ورد علينا كتاب عمر بن عبد العزيز إلا بAlive سنة أو إمامة بدعة أو رد مظلمة " .

• ويقول الإمام أبو جعفر الباقر (٥) :

• " لكل قوم نحبة وإن نحبة بني أمية عمر بن عبد العزيز وإنه يبعث يوم القيمة أممة وحده " .

• يقول الإمام أحمد بن حنبل (٦) :

• " يروى في الحديث أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد هذه الأمة دينها ، نظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز " .

• يقول الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (٧) :

• " كان واحد أمته في الفضل ، ونجيب عشيرته في العدل ، جمع زهداً وعفافاً وورعاً وكفافاً ، شغله آجل العيش عن عجله وأهله إقامة العدل عن عاذله ، كان للرعاية أميناً وأماناً وعلى من خالقه حجة وبرهاناً ، كان مفوهاً عليماً ومفهماً حكيناً " .

" (١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، سلسلة أعلام المسلمين ، عمر بن العزيز خامس الخلفاء الراشدين ، عبد الستار الشيخ ، دار القلم دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م " .

وهذه الشهادات - وإن كثرت - غيض من فيض مما قيل في حق ذلك الخليفة العظيم وعلى الرغم من ذلك يأتي فخر من فrox العلمانية ، وبسوق من أبواب التغريب ليقول - فرض الله فاه - :

إن الموارد المالية للدولة المخصصة في عهد عمر بن عبد العزيز لسوء سياساته وعدم خبرته بالاقتصاد ، وجزى الله الدكتور / محمد صدقى البورنو الغزى خير الجزاء على كتابه القسم :

ـ " قدوة الحكم والمصلحين عمر بن عبد العزيز مجدها ومصلحة ، فقد أفاد وأجاد في هذا الكتاب ، وأنتم الذين يهربون بما لا يعرفون أحجاراً في أنوارهم تزهق باطلهم وتلقى به في واد سحيق .

(١٦٩) أو كابن عفان والقرآن في يده تحنو عليه كما يحنو على الفطم
 (١٦٩) ابن عفان : هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، الفطم : جم فطيم وهو الصبي المقصول عن الرضاعة .
 (١٧٠) ويجمع الآي ترتيباً وينظمها عقداً بجيد الليالي غير منفص
 (١٧٠) قل الحال السيوطي يرحمه الله في كتاب "الاتقان" في النوع الثامن عشر في جم القرآن وترتيبه ما نصه : قل الخطابي : إنما لم يجمع القرآن في المصحف لما كان يتربى من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته ألم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء لوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بشورة عمر رضي الله تعالى عنهم ، وقل الحاكم في المستدرك :
 جم القرآن ثلاث مرات إحداها بحضور النبي ﷺ ، والثانية بحضور أبي بكر (إلى أن قل) قل الحاكم والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان ، روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وهو يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقل العثمان :
 أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ، فأربيل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصحف (*) ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما أنزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق إلى أن قل الحال : قل ابن

(١٦٧) وكالإمام إذا ما فص مزدحماً
 بمدمع في مأقي القوم مزدح

(١٦٧) الإمام : وهو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، مأقي : جم مأق وهو من العين طرفاها مما يلي الأنف وهو مجرى العين .

(١٦٨) الراخر العذب في علم وفي أدب
 والناصر الندب في حرب وفي سلم

(١٦٨) الندب في لسان العرب يقال رجل ندب خفيف في الحاجة سريع ظريف نحيب كان الإمام أفحص الناس إذا خطب وأبلغهم إذا كتب ، أما علمه وفقهه فالبحر لا يدرك غوره ولا ينزع غمره ، من قرأ سيرته وتتبع كلامه وكتبه عرف له أعظم من هذا وأبلغ ، وأما شجاعته في الحرب وخجولته في السلم فقد شاع القول فيهما على ألسنة الناس عامتهم وخاصة حتى لم يبق ثبت محل للتعریف ولا موضع للبيان .

(الغمر من الماء خلاف الضحل وهو الذي يعلو من يدخله ويغطيه) .

(١٦٩) أو كابن عفان والقرآن في يده تحنو عليه كما يحنو على الفطم

(١٦٩) ابن عفان : هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، الفطم : جم فطيم وهو الصبي المقصول عن الرضاعة .

(١٧٠) ويجمع الآي ترتيباً وينظمها عقداً بجيد الليالي غير منفص

(١٧٠) قل الحال السيوطي يرحمه الله في كتاب "الاتقان" في النوع الثامن عشر في جم القرآن وترتيبه ما نصه : قل الخطابي : إنما لم يجمع القرآن في المصحف لما كان يتربى من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته ألم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء لوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بشورة عمر رضي الله تعالى عنهم ، وقل الحاكم في المستدرك :
 جم القرآن ثلاث مرات إحداها بحضور النبي ﷺ ، والثانية بحضور أبي بكر (إلى أن قل) قل الحاكم والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان ، روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وهو يغazı أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقل العثمان :

أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ، فأربيل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصحف (*) ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما أنزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق إلى أن قل الحال : قل ابن

(*) قل المحافظ في الفتح : الفرق بين الصحف والمصحف أن الصحف الأوراق الجردية التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر وكانت سورة مفرقة كل سورة مرتبة بآياتها على حدة ، لكن لم يرتب بعضها إنما بعض ، فلما نسخت ورتب بعضها إنما بعض صارت مصحفاً .

حجر وكان ذلك سنة خمس وعشرين من الهجرة النبوية (١*) .

(١) وبهذين الأمرين : جمع الناس على المصحف المنقول من صحف أبي بكر ومحوكل ما يخالفه من صحيفة أو مصحف قضى عثمان عليه على ماحدث بين المسلمين من النزاع والشناق بسبب قراءتهم القرآن على الأوجه المختلفة التي أنزلت توسيعة وتيسيراً على العرب ، في أول الأمر .

وقد صوب الصحابة ما فعل عثمان بالمصحف واهتم الإمام علي عليه بالدفاع عنه : فقد ذكر ابن كثير في فضائل القرآن رواية عن أبي داؤد الطيالسي جاء فيها : أن علياً كرم الله وجهه قال حين حرق عثمان المصحف " لو لم يصنعه لصنعته " . ثم ذكر أن ابن أبي داؤد أخرج باستناد صحيح عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص أنه قال : " أدركت الناس حين حرق عثمان المصحف ، فأعجبهم ذلك ، أو قال : لم ينكِر ذلك واحد منهم " .

وقد ذكر الحافظ في الفتح أنه ثبت عن أبي داؤد باستناد صحيح أن عثمان لما أشار على الصحابة بجمع الناس على مصحف واحد قالوا له : نعم ما رأيت ، وأن علياً كرم الله وجهه قال : " لا تقولوا في عثمان إلا خيراً فوالله ما فعل في المصحف إلا على ملاً منا " .

(٢) البيان في علوم القرآن ، د عبد الوهاب غزلان ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ، ط ١ تاريخ الطبعة غير موجود) ، م هـ .

ولقد أطلنا في هذا الخامس - أخي القارئ - لتعليم أن القرآن تم جمعه في مصحف واحد بطريق تبلغ الذورة من الأكاديمية والمنهجية العلمية والعملية بلغة العصر كما يقل قبل أن يعرف الناس هذه الألفاظ !! التي يتسلق بها البعض وقد لا يفته معناها .

لذلك لم يكن عجباً أن يقف رئيس وزراء بريطانيا المدعو جلاد ستون في مجلس العموم البريطاني عند مطلع القرن العشرين ومعه نسخة من القرآن ثم يقول : طالما كان هذا الكتاب المسمى بالقرآن وذلك البيت المسمى بالكونية موجودين بالشرق الأوسط لا يمكن لبريطانيا السيطرة عليه فعلينا أن نبعد المسلمين عنهم .

ولم يدخلوا وسعًا في ذلك سواء بالتشكيك في ثبوته أو بسوء التأويل أو بالاختلاف في تفسيره إلى آخر ما يعرفه الناس مما تقذف به المطابع ووسائل الإعلام في وجوه المسلمين ، ولكن سنة الله لا تختلف كما بين تبارك وتعالى في قوله :

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُوْهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُعْلَمُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ» (الأنفال الآية/٣٦) .

وأخرج ابن أبي داود من طريق محمد بن سيرين عن كثيير بن قبيش قال : لما أراد عثمان أن يكتب المصحف جمع له اثنى عشر رجلاً من الأنصار فبعثوا إلى الربعة في بيت عمر رض فجيء بها و كان عثمان يتعاهدهم ، فكانوا إذا تدارءوا في شيء آخر و قال محمد : فظننت إنما كانوا يؤخرون له لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبوه على قوله ، رفل القاضي أبو بكر في الانتصار :

لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحتين وإنما قصد جمعه على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صل وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف لا تقديم ولا تأخير ولا تأويل فيه أثبت مع نزيل ولا متسوخ تلاوته قد كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والفتنة على من يأتي بعد .

وقال الحارث المخاسبي : المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان وليس كذلك إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار رفع بينهم وبين من شهد له من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات ، فأماماً قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن ، فأماماً السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق وقد قال على : لو وليت لعملت بالمصحف التي عمل بها عثمان " م هـ .

(١٧١) جرحان في كيد الإسلام ما التأما

جرح الشهيد وجراح بالكتاب دمى

(١٧٢) (وجراح بالكتاب دمى) أي وجراح دمى به الكتاب وقلب للمبالغة . وذلك أن قتلة عثمان رض دخلوا عليه الدار وخطبوه (وضربوه) بالسيوف وهو صائم والمصحف في حجره وهو يقرأ فيه فوق المصحف بين يديه وسل الدم عليه ولا حول ولا قوه إلى بالله العلي العظيم .

(يتبع)

المستشرقين الذين قضوا حياتهم في دراسة الإسلام ومصادره القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقانون الأخلاق للإسلام، وهم يعرفون البيئة المادية الجامحة التي يعيشون فيها، بيئة الفساد والقتل، والنهب والسلب، والعصبيات، وتفكك نظام الأسرة، وسوء الخلق، وسوء المعاملة بين العلم والمتعلم، وبين القائد والمقود، والسيد والمسود، إنهم درسوا الإسلام وعرفوا جوانب العظمة فيه، ثم جحدوا فضله، وبذلوا جهدهم لتشويه تعاليمه، وتزوير تاريخه، والهجوم عليه، ولذلك يجد القارئ في عرضهم للإسلام تعارضات وتناقضات، فيقول بعضهم: إنه دين لا نظام حياة، ويقول الآخرون: إنه نظام سياسي ولا دين، ويقول بعضهم: إن الإسلام ملحوظ من الأديان السابقة، وإن الفقه الإسلامي ملحوظ من القانونroman، ثم ينكرونه، وهم يعرفون أنهم بذلك ينكرون الأديان السابقة، ومنها النصرانية، وينكرون القانون الرومانى، وينكرون ما بشر به نبيهم سيدنا عيسى عليه السلام، ويشهد بذلك كتابهم المقدس الذي جاء فيه وصف محمد رسول الله ﷺ، وذكره القرآن الكريم **﴿وَإِذْ قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرِيمٍ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التُّورَةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمَهُ أَحْمَد﴾** (الصف الآية/٦) ويقترب بعضهم أن الإسلام حادث من الأحداث، وهو مستمد من وقائع الحياة ومن اقتضاء ذلك العصر، وتدل هذه التعبيرات المختلفة على عدم في الهجوم على الإسلام، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الطبيعة الجاحدة والتي كانت في اليهود **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرُفُونَهُ كَمَا يَعْرُفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** (آل عمران الآية/١٤٦) **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرُفُونَهُ كَمَا يَعْرُفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾** (الأنعام الآية/٢) **﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلِمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلْعَنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** (آل عمران الآية/٨٩) **وَ﴾الَّذِينَ يَتَبَعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْهُمْ فِي التُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيَّاتِ وَيَحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضْعِفُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاللَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا التُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** (الأعراف الآية/١٥٧) قد كان إنكار اليهود في عصر الرسول ﷺ، قائما على المعرفة والعلم، كانوا يعرفون ثم ينكرون.

إن الحرب الحديثة التي شنت على الإسلام، وحملة الكراهية له ترجع كلياً إلى هذه الطبيعة الجاحدة، وعلى هذه المعرفة يقولون إن الإسلام هو الخطير الكبير لأوروبا، وقد أشار إلى هذه الحقيقة بعض المنصرين فقالوا

يحاربون الإسلام لمراكب الناقص

واضح رشيد الحسني الندوى

قد يستغرب الكثيرون هذا التعبير أن أوروبا المتقدمة علمياً وحضارياً وسياسياً وفيها الدول المتحالفه معها، مصابة بمركب النقص بالنسبة للإسلام والمسلمين الذين يتهمون بالتخلف والجهالة، واستغراهم إذا كان لا يستغرب فإن أوروبا تدعى الحضارة، والتقدم في العلم والصناعة، وهي تسيطر على العالم .

إذا استغرب أحد هذا التعبير فمعه حق ، فإن أوروبا تسيطر على العالم كله وتملك وسائل جارة لفرض سيطرتها ، وقد تغلبت على الأخطار السابقة كالنازية والشيوعية ، ثم تعتبر الإسلام الخطير الأكبر ، وتحاربهسائر وسائلها العسكرية والاقتصادية والسياسية ، وتدعى العالم كله خاربة هذا الخطير .

قد تكون حرب شيء لجهل مزايه ومنافعه ، ولا تكون بعد علم مزايه وخصائصه ، إلا إذا كان يعاني المعارض عقدة نفسيةفينفي فضائله شيء من نفسه .

وقد قيل : الناس أعداء لما جهلوها ، وليس من المعقول أن يقال إن أوروبا تحارب الإسلام لأنها تجهله؟ وقد صدق ذلك في الماضي أن الذين كانوا يعادون الإسلام في عهد الرسول ﷺ ، كانوا يحاربونه لأنهم كانوا يجهلون الإسلام ، فإذا شاهدوا حياة المسلمين وسمعوا شيئاً من القرآن الكريم قالوا صدقنا وأمنا ، إنهم كانوا لا يجحدون ، وإنما كانوا بعيدين عن البيئة الإسلامية ، وكانوا يجهلون ما يحدثه الإسلام من تغيير في الحياة ، فكانوا إذا أتيحت لهم الفرصة لمعرفة الإسلام كان إسلامهم وإيمانهم كصخرة صماء ، يحتملون كل أذى في طريقة ، لا يتزعزع إيمانهم ، وفي هذا العصر أيضاً من درس الإسلام وعرف فضله بصدق وعدم عصبية أمن به وصدقه .

إن حرب الإسلام القائمة في هذا العصر والتي تشتد يوماً بعد يوم ، ولا تخلو من سوء كلام وإساءة ، وسباب بالإضافة إلى وسائل سياسية وعكسرية ، حرب علم ومعرفة ، فلا يحاربه الجهل ، وإنما يحاربه العقلاه والحكماء ، وأصحاب معرفة دقيقة له ، ومن يكون أكثر معرفة للإسلام من بنابر وفبراير ٢٠٠٩ ٤ - ج ٥ محرم وصفر ١٤٣٠ هـ ٨٩/٨٩

إن الإسلام ينتشر في بعض الدول الأوروبية بطريق يخشى أن تحول تلك المناطق المسيحية إلى مناطق إسلامية، ليس مجرد ارتفاع عدد المسلمين بل لإقبال الناس على الإسلام، ودراساتهم للإسلام وياسهم وشعورهم بالخيبة من النصرانية والخرافتهم عن التوجه إلى الكنائس وفقدانهم الثقة في رهبانهم لوقوعهم في فضائح حلقية.

وكل من يعرف تاريخ النصرانية يدرك كم وقع من الذبائح وقتل النفس وانتهاك الحرمات وقمع تاريخ متبني هذا الدين، وقمع متبني هذا الدين أنفسهم وكيف كان عمل السيف فيهم فضلاً عن الحروب الكونية التي وقعت في نصف قرن.

وفي العصر الحاضر ما هو سلوك الدول التي تدعى انتماها إلى النصرانية مع الرعایا، غير النصرانية في عهد الاستعمار الأوروبي، الذي فرض فيه الاستعمار عقائد وأيديولوجيات بقوة السلاح والقهر، مع ذلك أنهم يتهمون الإسلام بالإرهاب.

إنهم يقولون إن المسلمين أمة لا تقرأ، وهم يعرفون أن أوروبا في ظل النصرانية قضت ألف سنة كاملة لا تقرأ، وقد كان كبار ملوك دول أوروبا أميين، وقد أقر بذلك درابر حيث يقول:

"عمت الجهالة في أوروبا، وساورتها الأوهام، فانحصر التداوي في زيارة الأماكن المقدسة مات الطب، وعمت أباطيل الدجالين."

كان العالم القديم تقسيمه في القرن الحادى عشر مدنیتان : في الغرب مدن حقيقة صغيرة ، أكواخ الفلاحين ، وقلاء لا هندسة لها ، ومالك مضطربة على الدوام بالحرب ، لا يتأتى أن يسير فيها السائر عشرة فراسخ دون أن يسلب أو ينهب ، وفي الشرق مدن القسطنطينية ، والقاهرة ودمشق ، وبغداد ، وجميع مدن ألف ليلة وليلة ، بما فيها من قصور المؤمر ، وما حوت من المعامل والمدارس والأسواق ، والحدائق الممتدة على بضعة فراسخ ونظام الري يروي القرى والضياع ، وحركة التجارة لا تقطع يذهبون أمنين من إسبانيا إلى فارس".

ويقول دورزي : "كان الناس تائبين في ظلام الجهلة ، لا يرون النور ، والنور يسطع من جانب الأمة الإسلامية من علوم ، وأدب ، وفلسفة ، وصناعات ، وأعمال يد ، وغير ذلك ، وبغداد وسر قند والبصرة ودمشق وقيروان ومصر وفارس وغز ناطة وقرطبة هي المراكز العظيمة للعلم ، وعواصم أوروبا التي ندهش بها اليوم أشبه بقرى لا علم فيها ولا عمران".

وقال أحد المؤرخين الأفرينج :

"إن معظم سكان إسبانيا الإسلامية كانوا يقرؤون ويكتبون في زمن كان أهل الطبقة العليا في أوروبا النصرانية أميين لا يقرؤون عدا أفرادا قلائل".

وقد اعترف المنصفون من علماء الغرب بأثر الإسلام في الحضارة الإنسانية وفضله على الإنسانية ، ولا يخلو أي مجال من مجالات الحياة التأثير الإسلامي ودوره العظيم في توجيه النوع البشري وإصلاحه وإرشاده ونهضته وازدهاره ، يقول Robert Biffault في كتابه *The Making of Humanity* : "ما من ناحية من ونواحي تقدم أوروبا إلا وللحضارة الإسلامية فيها فضل كبير وآثار حاسمة لها تأثير كبير". ويقول :

"لم تكن العلوم الطبيعية (التي يرجع فيها الفضل إلى العرب) هي التي أعادت أوروبا إلى الحياة ولكن الحضارة الإسلامية قد أثرت في حياة أوروبا تأثيرات كثيرة ومتعددة منذ أرسلت أشعتها الأولى إلى أوروبا". يقول هلمتن جب :

"إن الإسلام تصوّر منسق ظهر في أشكال سياسية واجتماعية ووحدة دينية وهذا التصوّر يحيط بمساحة واسعة للزمان والمكان وقد برزت خصائصه المختلفة في مناطق وعهود بقدر احتكاكه بمختلف القوى الاجتماعية والسياسية الأخلاقية".

ويقول ولفرد كانتويل اسمث :

"كان انتصار المسلمين انتصاراً داخلياً لدينهم فإنهم لم يحققوا النصر في ميدان القتال ، ولم يؤثروا على جوانب مختلفة في الحياة فحسب بل إنهم حققوا النصر في توجيه الحياة بصورة عامة توجيهها جديداً وطبعها يطبع خاص و هو ما يعرف بالحضارة".

يقول الكاتب الشهير H. A. R. Gibb في كتابه "تجاه الإسلام" (Whither Islam) وهو يعترف بدور الإسلام في إقرار مبدأ المساواة البشرية وأثره العالمي :

"لم يحرز مجتمع من المجتمعات البشرية نجاحاً مثل ما أحرزه الإسلام في إقرار المساواة بين أجيال المختلفة بصرف النظر عن الطبقات البشرية وتنوع في الفرص وإمكانيات للعمل ، لقد تجلت من أوضاع الحالية الإسلامية الكبيرة في إفريقيا وإندونيسيا ومن الحالية الإسلامية الصغيرة في اليابان قدرة الإسلام على إذابة الاختلاف في الأجيال والتقاليد التي تزول على مر القرون وعلى مدار التاريخ فإذا كان لا بد من إحلال عاطفة

التعاون مكان الصراع والخصومة بين مجتمعي الشرق والغرب الكبيرين فلا بد في ذلك من الاستعانة بالإسلام والاعتماد عليه في تحقيق هذا المطلوب".

ويقول المؤرخ الفيلسوف A. J. Toyanbee في كتابه "الحضارة في الامتحان" (Civilization on Trial) إن القضاء على الفوارق السلالية والعصبيات الجنسية والdemographic من أعظم مآثر الإسلام ومفلاخره".

اتهما المسلمين بحرق مكتبة الإسكندرية وقد ثبت كذب هذه الدعوى والافتراء، ولكن حرق المكتبات الكبرى في العصر الحديث بأيدي هؤلاء الأدعياء للحضارة أمر لا شك فيه.

إن كل تهمة توجه إلى الإسلام والمسلمين هي في الواقع مأخذة من تاريخ هؤلاء المتهمن، والمفترىن، حتى الأصولية التي يلصقونها بالإسلام هي جزء من تاريخ النصرانية ولا تزال بعض الفرق النصرانية في أوروبا تؤمن بهذه العقيدة وتنكر العلم والمعرفة.

إن خوف أوروبا من الإسلام يرجع إلى هذه المعرفة لقوة الإسلام على كسب القلوب وتسخير النفوس بتعاليمه السمححة، وصلابة المتمسكون بها، واستعدادهم للتضحية في سبيله، إنها عرفت هذه الحقيقة من التاريخ، وتعرف هذه الصالحيات والقدرات في تجربتها مع الإسلام في التاريخ الحاضر، يقول لورانس براون:

"كنا نتخوف من قبل بالخطر اليهودي ، والخطر الأصفر ، والخطر البلشفي ، إلا أننا لم نجد هذا التخوف كما تخليناه ، لأننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل ماضطهد لهم عدونا الألد ، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا أثناء الحرب الثانية ، أما الأصفر (اليابان والصين) فإن هناك دولة ديمقراطية كبرى تتکفل مقاومتها ، لكن الخطر الحقيقي كان في المسلمين وفي قدرتهم على التوسيع والإخضاع ، وفي الحيوية المدهشة العنيفة التي يمکتلونها".

ويقول قائد غربي آخر :

"ليست الشيوعية خطراً على أوروبا ، فيما يبدو لي ، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشرًا عنيفاً هو الخطر الإسلامي ، وال المسلمين عالم مستقل كل الاستقلال عن لامتنا الغربي ، فهم يمكنون ترثهم الروحي الخالص ، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة ، وهم جديرون بأن يفيموا بها قواعد عالم جديد ، دون حاجتهم إلى الاستغراب ، وفرضتهم في تحقيق أحالمهم هي اكتساب التقدم الصناعي الذي أحزره الغرب".

ويقوی هذا الخوف والذعر من الإسلام انتشار الإسلام في أوروبا

وأمريكا ، وإقبال الناس المتزايد على دراسة الإسلام وظهور هذا الاتجاه أخيراً خلال الأزمة التي أطاحت بأوروبا وطالب بعض العقلاة الذين عرفوا الإسلام بدراسة الإسلام كما طالب القدس البريطاني بتطبيق الشريعة حل بعض المشاكل العالمية ، ويدرك ذلك عقلاً أوروبا وخبراؤها السياسيون .

إن هذا الشعور بصلاحية الإسلام وقدرته ومعرفة تاريخه هو الذي يدفع أوروبا إلى حرب الإسلام وهو نابع من الشعور بمركب النقص إزاء الإسلام .

إن الشعور بالخوف ناتج طبيعيًّا عن الشعور بالضعف في الذات والقوة والعظمة فيما يخاف منه ، وهي طبيعة الإنسان الضعيف الذي لا يثق بذاته ، فخوف أوروبا ومن يقلدها من الإسلام اعتراف بقوة الإسلام وصلاحيته لكسب القلوب وتسخير النفوس ، بتعاليمه السمححة ، لأنه دين الفطرة ، يجمع بين اقتضاء الدين ، واقتضاء الحياة المادية ، بين الروح والمادة ، وليس بدين الرهبانية ، ولا نظام مادي صرف ، فيه المساواة بين الناس ، وفيه كرامة الإنسان وشرفه على عكس الأديان الأخرى ، ويعرف ذلك من درس الإسلام وتاريخه بدون عصبية فاعترف بفضلة .

وقد أسيئ فهم الإسلام وأسيئ عرض الإسلام ، وانقضت قرون في سوء فهم الإسلام في أوروبا ، لأنها رغم البحث والتحقيق والابتكار والإبداع وعدم التقليد تعيش على المكتبة القديمة بالنسبة إلى الإسلام والتي أنشئت لغرض وقاية أوروبا من تأثير الإسلام في العصور التي تلت الحروب الصليبية ولا يمكن التغلب على هذه الطبيعة طبيعة العقدة النفسية من الإسلام إلا بدراسة حرة للإسلام ، والبحث عن وسائل التعامل مع المسلمين والتفاهم معهم ، بدلاً من توسيع الفجوة من توسيع الفجوة والشقاق بين النصرانية والإسلام ، فإنهما أقرب الأديان وأصلاح للتقارب والاحترام والتبادل بينهما .

لقد كانت النصرانية دين الحب والتضحية كما يدعى قادتها ، ولكن طبيعة الخوف من الإسلام حولتها من دين الحب إلى دين الكراهية والعداوة ، هذا يعارض طبيعة ذلك الدين وما لم تعالج هذه النفسية التي يوسعها ويوصلها بعض رجال السلطة والفكر في أوروبا لا يمكن إقرار الأمن ولا يسود التفاهم في المجتمع البشري في العالم ، لأن هذين الدينين مما أوسع الأديان انتشاراً وأعظم اتباعاً وتأثيراً ونفوذاً في العالم .

في مثل هذا الوضع كيف تجلى جهود إيصال الإسلام إلى هذه العقول الجاحدة ، فإن الذي ينكر بجهله يعرف ، ومن ينكر من علم ومعرفة لا يمكن تغيير ذهنه .

ب أصحاب الأيكة أهل مدين ، قلت : مدين و تبوك متتلاحتان (٣) .

إن دراسة آيات القرآن تكشف أن مدين والأيكة قريتان مختلفتان ، لأن كلام سكانهما وأساليب خطابهما ثم هلاكهما والعذاب الذي أنزل عليهما مختلف جداً ، نظراً إلى هذا من يمكن له أن يقول : إنهم إسمان لقوم ؟ قد اتفق أن كانت بين مدين والأيكة علاقة ، وكان زمن عمرانهما واحداً ، بحيث أرسل إليهما رسول ، وقد أخبر القرآن بأمراض سكانهما أنها كانت متماثلة ، وقد سبق فيما مضى أن مدين كان من بطن قطورا زوج إبراهيم عليه السلام ، وكان له إخوة ، جاء في التوراة ذكر اثنين منهم : مدين وددان ، وكان بنو مدين وددان ساكنين على طريق تجاري معروف ، يمر على ساحل البحر الأحمر من الحجاز واليمين ومدين خروجاً من جانب خليج العقبة وقطعاً تيماء وما والاها من المناطق ، وكان ذلك طريق قواقل الهند واليمين ومصر والشام قديماً ، فعلى هذا الطريق ما بين الحجاز والشام وادي القرى ، ومسكن ثود ، ومدين وسدوم وتبوك وتيماء والرقيم ، هذا طبقاً لتصريحات التوراة ، وقد جاء في القرآن : «إِنَّ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ» (الحجر الآية /٧٨-٧٩) (٤) .

أصحاب الرس :

كان لإسماعيل اثنا عشر ولداً ، فإن قيدهاته كان ابنه العاشر ، وإن ما جاء في القرآن من ذكر " أصحاب الرس " مرتين في عدد قوم مجرمين : «وَعَادًا وَثَمُودٌ وَأَصْحَابُ الرَّسٍ وَقَرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا» (الفرقان الآية /٣٨) ، «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَأَصْحَابُ الرَّسٍ وَثَمُودٌ» (آل عمران الآية /١٢) المراد منهم آل قيدهاته ، وقد ذكر الإمام الطبرى ثلاثة أقوال للمفسرين الباحثين ، يقول : واحتللت أهل

(٣) معجم البلدان ، مادة : أيك .

(٤) تاريخ أرض القرآن ج / ٢ ص / ٢١-١٧ .

من معاني القرآن :
مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوى (١٨٨٤-١٩٥٢م)
(٩)

بقلم : الأخ الأستاذ محمد فرمان الندوى

آل إبراهيم :

كانت لإبراهيم عليه السلام ثلاث زوجات : سارة ، وهاجر وقطورا ، فوليد إسحاق من بطن سارة ، وكان من ذريته ولدان : يعقوب وعيسى ، المعروف بـ "أدوم" توطن جزيرة العرب ، وولد من بطن قطورا زمسران ، بقشان ، مدان ، مديان ، يشبوقي وشوح ، ومن بطن هاجر إسماعيل ، فكان من بني قطورا أهل مدين وأهل ددان (أصحاب الأيكة) ، ومن بني سارة أدوم (سيدنا أيوب وقومه) ، ومن بني هاجر إسماعيل ثم أنباط (أصحاب الحجر) قيدار وقريش (١) .

أصحاب الأيكة ومدين :

ورد في القرآن ذكر قوم باسم " أصحاب الأيكة " ، وذلك في أربع سور ، وقد تناولهم القرآن في سورة الشعراء بالتفصيل ، معنى " الأيكة " لغة : الغابة ، وكان شعيب عليه السلام نبي هؤلاء القوم أيضاً ، فخُلِّي إلى بعض المفسرين أن مدين وأصحاب الأيكة إسمان لقوم ، وهم يزعمون أن كانت غابة قريباً من مدين ، فكان قوم مدين ينزلون هنا أحياناً ، فسمى هؤلاء بأصحاب الأيكة كذلك (٢) .

وكتب ياقوت الحموي : الأيكة قيل : هي تبوك غزاهما النبي ﷺ آخر غزواته ، وأهل تبوك يقولون ذلك ، ويعرفونه ، ويقولون : إن شعيباً عليه السلام أرسل إلى أهل تبوك ، ولم أجدها في كتب التفسير ، وإن المراد

(١) تاريخ أرض القرآن ج / ٢ ص / ١ .

(٢) جاء في معالم التنزيل للبغوي أن أصحاب الأيكة هم قوم شعيب ، وكانوا أصحاب غياض وشجر مختلف ، وكانت عامتهم شجر الدوم (راجع تفسير الآية في سورة الحجر) .

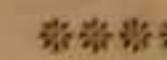
التأويل في أصحاب الرس ، فقل بعضهم : أصحاب الرس قوم رسوأ نبيهم في بئر ، عن عكرمة قل : كان الرس بئراً رسوأ فيها نبيهم ، وقال آخر : الرس قرية من اليمامة يقال لها "فلج" ، ودليلهم قول قتادة : الرس قرية اليمامة يقال لها الفلج ، وقال أبو جعفر الطبرى : الرس في كلام العرب : كل محفور مثل البئر والقبر ، يريد أنهم يحفرون المعادن ، ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة ، وذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب الأخدود ، وقال المؤرخ المسعودي مؤكداً : أصحاب الرس من أولاد إسماعيل ، وكانوا في قبيلتين : إحداهما قيدهمان ، وثانيهما يامين : وقيل : رعييل ، وكانتا في اليمن ، فإن قيدهمان هي صورة محرفة لقيدهمه (٥) .

أصحاب الحجر :

أصحاب الحجر من ذرية إسماعيل عليه السلام ، بحيث إن ابنه الحارى عشر نبایوط ، وكان العرب يسمون نبایوط بـ "نابت" ، وقد روی عنهم أن سدانة البيت قد انتقلت بعد إسماعيل عليه السلام إلى أكبر ابنه نابت ، فثبت أن نبایوط أقام في الحجاز ، فوفقاً لبعض الوثائق التاريخية يظهر أن أهل نبایوط كانوا في العراق ، لكن الحقيقة أنهم قد انتشروا نظراً إلى حياتهم البدوية متقدلاً في طلب الرزق من الحجاز إلى العراق ، وقد وجد اسم نبایوط كتابةً في القرن السابع قبل المسيح ، يقول يوسيفوس اليهودي وهو من رجالات القرن الأول المسيحي : كان أبناء إسماعيل كلهم يحكمون من الحجاز إلى العراق ، فسميت هذه المنطقة بالنباطية .

إن حكومة أنباط تكونت من ثلاثة بلدان : ثمود ومدين وأدوم ، فكانت لها عاصمتان : الرقيم التي كانت على حدود الشام ، والحجر التي كانت داخل

(٦) تاريخ أرض القرآن ج ٢ / ص ٤٥ - ٤٠ بتلخيص .



(٧) تاريخ أرض القرآن ج ٢ / ص ٤٤ .

١٤٣٠ هـ - ٥ ذي محرم وصفر ٢٠٠٩ ميناير وفبراير ٢٠٠٩ م

العرب ، وقد خاطب القرآن أهل الحجر رئيساً لمنطقة : « ولَقَدْ كَثُرَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُغْرَضِينَ * وَكَانُوا يَنْجُونَ مِنَ الْجَيَالِ بِيُؤْتَاهُمْ أَمِينَ * فَأَخْذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (الحجر الآية / ٨٠ - ٨٤) .

قد اتفق جميع المفسرين على أن المراد بأصحاب الحجر قوم ثمود ، ولا شك أن هذه المدينة كانت في زمن عاصمةً لثمود ، لكن أسلوب خطاب القرآن يدل على أن المراد بأصحاب الحجر قوم عاشوا وسكنوا بعد قوم ثمود ، لقد ذكر القرآن اسم ثمود في ٢٦ موضعًا ، وسماهم باسمهم ، ولم يذكرهم بأصحاب الحجر ، والجدير بالذكر أن القرآن كلما ذكر بناء ثمود ونحتهم الأحجار أخبر أخيراً بالملوّع الذي كانوا يشيرون فيه المبني الجميلة ، وهو وادي القرى ، يقول الله : « وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ » (الفجر الآية / ٩) ، فذكر هنا بناءهم المبني ونحتهم الأحجار ، وأثبتت من إشارة النص أن عمليتهم هذه كانت في الحجر ، وأشار هؤلاء القوم حتى الآن موجودة ، وقد كتب على لوحاتهم اسم مؤسسيهم "نبطيو" ، فثبتت بكل وضوح أن أصحاب الحجر هم الأنبط ، وقد ورد في الماجموع الصحيح للإمام البخاري وكتب الأحاديث والسير أن النبي ﷺ لما مر بالحجر في سفره إلى تبوك ، فلم يسم ثمود ، بل قال : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيّبكم مثل ما أصابهم (غزوة تبوك ، وتفسير حجر) ، وقد جاء في حديث بزيادة كلمات : إن الناس مع رسول الله ﷺ نزلوا أرض ثمود الحجر ، فاتضح أن الحجر كانت مسكنًا لثمود أيضاً ، وهذا ما لا ننكره (٦) .



كان الراحل الكريم يعيش حياة زهد وقناعة ، ولم يرض أن تكون له شهرة ، وإنما كان يحب العزلة والارتكان ، وبؤدي واجبه بشيء كثير من الدقة والاعتناء بالبالغ .

تغمده الله بواسع رحمته ، غفر له خططيه وتقاصيره ، وكتب له الفوز بالحننة والنعيم في الآخرة ، وجزاه على ما قدم من صالح الأعمل خير جزاء .

الشيخ إمام مهدي والد الشيخ أصغر علي في ذمة الله تعالى
تلقت الأوساط العلمية والدينية في الهند نبأ وفاة والد فضيلة الشيخ أصغر علي إمام مهدي الأمين العام لجمعية أهل الحديث لعموم الهند ، كان والله الشيخ إمام مهدي من محبي العلم والعلماء وعضوًا للمجالس التنفيذية لعديد من المدارس الإسلامية ، فكان يهتم بشؤون التعليم والتربية ، ويشرف على إصلاح العامة والشباب ، يدعوهم إلى التمسك بالدين في ضوء تعاليم الكتاب والسنة ، فلجاجاته المنية يوم السبت في ٢٩ من شهر ذي القعدة عام ١٤٢٩هـ الموافق ٢٩/١١/٢٠٠٨ ، وكان بالغاً من العمر نحو أربع وسبعين ، فإننا وإنما إليه راجعون

كان الراحل الكريم على درجة عالية من الورع والبصرة ، فاستطاع أن يشرف على تربية أولاده الكرام ، وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ أصغر علي إمام مهدي الذي فاز بمنصب علمي ديني ودعوي كبير ، فجزاه الله من المسلمين وجميع الأوساط العلمية والدينية خير ما يحيز به عباده العاملين والمتقين .

ونحن إذ نتوجه إلى نجله الكريم الشيخ أصغر علي إمام مهدي بالتعازي الخالصة ودعوات الصبر والتسليمة تتضرع إلى الله تعالى أن يكرم الفقيد بالرحمة والمغفرة ، ويكتب له الفوز بدرجات عالية من جنات ونعميم ، ويلهم أهله وأولاده النجباء وجل أقربائه والمعجبيين به الصبر والسلوان ، فإن الله يحب الصابرين .

شقيقة الشيخ فضل ربي الندوبي إلى رحمة الله تعالى

أفادت الأنباء الآتية من كراتشي بوفاة السيدة زاهدة خاتون شقيقة الشيخ فضل ربي الندوبي يوم الجمعة ١٩ من شوال عام ١٤٢٩هـ ، الموافق ٢٠ أكتوبر عام ٢٠٠٨م ، في مدينة كراتشي ، عن عمر يناهز ٥٨ عاماً ، كانت الراحلة العزيزة ذات صلة عميقة بجامعة ندوة العلماء ، وبرجلها العظيم سماحة العالمة

إلى رحمة الله تعالى : **فضيلة الشيخ عبد الرحمن الجاندينكري (نيفال)** في ذمة الله تعالى
قلم التحرير

أفادت الأنباء بوفاة فضيلة الشيخ عبد الرحمن الجاندينكري من بلاد نيفل ، يوم الاثنين في ١٧ ذي القعدة عام ١٤٢٩هـ ، المصادف ١٧/١١/٢٠٠٨ ، وذلك بعد اعتلال طويل ، ظل فيه طريح الفراش إلى مدة ، وكان قد بلغ من العمر ٨٠ عاماً ، فإننا إليه راجعون .

كان فضيلة الشيخ الراحل من سكان بلدة "جاندينكر" ببلاد نيفل ، معروفاً بعلمه وورعه ، وهو إن كان يستغل بالتجارة ، إلا أن صلته بالعلم والدين كانت وثيقة ، يحب الناس لدينه وتقواه في كل من بلاد نيفل والهند .

ومما يجدر بالذكر أنه كان شقيق فضيلة الشيخ عبد الرؤوف الرحماني (رحمه الله) أصغر منه سنًا ، والشيخ الرحماني كان شهيراً بعلمه ومواهبه والعمل في مجال الدعوة الإسلامية في الهند ونيفال ، بل الواقع أنه كان كبير علماء نيفل ، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، كما كان شديداً في اتصال بندوة العلماء ومعجباً بسمحة العالمة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي رحمه الله . وكان مديرًا لجامعة سراج العلوم إلى آخر أيام حياته ، وقد حل محله الآن فضيلة الشيخ شيم أحمد الندوبي الذي كان ينتهي إلى الراحل الكريم كابن أخي له .

رحمه الله بأوسع رحماته ، وغفر له زلاته ، وأدخله فسيح جناته ، وأهله وأهله ذويه الصبر الجميل ، والله على كل شيء قادر .

فضيلة الشيخ محمد خليل إلى رحمة الله تعالى

كان فضيلة الشيخ محمد خليل أحد علماء جمعية أهل الحديث ، عاش طول عمره داعياً ومدرساً أصيب بمرض ، امتد إلى أعوام ، كان يناهز ٨٠ عاماً ، استأثرت به رحمة الله تعالى يوم الثلاثاء في ١١ ذي القعدة عام ١٤٢٩هـ ، الموافق ١١/١١/٢٠٠٨ ، فإننا إليه راجعون .

لقد كان الشيخ محمد خليل عالماً كبيراً ، وأستاذًا للعلوم الإسلامية بمنطقة "بونديهار" ، وظل على منصبه إلى آخر أيام الصحة والعافية ، أفاد بعلمه جماعة كبيرة من تلاميذه ، وتخرج على يديه كثير من العلماء والداعية .

الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي رحمه الله ، فقد كانت معجبة مؤلفاته وكتبه ، وكانت تطالعها بشوق واعجاب ، وتقرأها على جماعة النساء . رحها الله تعالى رحمةً واسعةً ، وتقبل صالح أعمالها ، وغفر لها مغفرةً تامةً وأكرمتها بالنزل والنعم في الآخرة ، وألمهم الجميع الصبر والسلوان .

«إِنَّمَا مَنْ يُتَقْرَبُ إِلَيْهِ اللَّهُ لَا يُضِيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ»

المنشئ عبد السميع في ذمة الله تعالى

انتقل فجأةً إلى رحمة الله المنشئ عبد السميع الذي كان يشرف على بعض أعمال الإنشاء والرقابة على بوابة جامعة ندوة العلماء ، كان في حالة صحية مطمئنة ، إلا أن المنية فاجأته من غير مرض مسبق بأمر من الله تعالى ، وكان بالغاً من العمر ٨٠ عاماً ، وذلك يوم الثلاثاء ٢٥ ذي القعدة عام ١٤٢٩هـ ، الموافق ٢٥ نوفمبر عام ٢٠٠٨م .

وقد صلى عليه سعادة العالمة الشیخ محمد الرابع الحسني الندوی رئيس ندوة العلماء العام .

رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً ، وغفر له الذنوب والخطايا ، وكتب له الجنۃ والنعيم ، وألمم أهله وذويه بالصبر والسلوان ، فإن الله غفور رحيم .

الأستاذ الحاج أنيس الرحمن (عليه) إلى رحمة الله تعالى

في ٢٤ ذي القعدة عام ١٤٢٩هـ ، المصادف ٢٤ / ١١ / ٢٠٠٨ ، يوم الاثنين انتقل الحاج أنيس الرحمن إلى رحمة الله تعالى من غير مرض مسبق ، فقد كان الحادث مفاجأة ، سبب الحزن العميق لجميع أعضاء الأسرة ، كان الراحل الكريم شقيق الأستاذ الأخ جمال أحمد الندوی من بلدة "كوفا غنج" بمديرية متوا ، وهو أحد المدرسين في جامعة مصباح العلوم في البلدة نفسها ، وقد أخبر بالحادث سعادة العالمة الشیخ محمد الرابع الندوی الذي قام بالتعزية على المصاب ، ولما سافر إلى غازیپور للحضور في برنامج علمي بالمدرسة الدينية فيها ، سافر إلى بلدة "كوفا غنج" لتقديم التعازي للأخ جمال وأفراد الأسرة ، وألقى كلمة حول الموضوع في جمع حاشد من المسلمين هناك ، كان لها صدى وتأثير كبير في نفوس الجميع .

كان الراحل الكريم صاحب أعمال تجارية كبيرة تأثرت بهذا الحادث .

تغمده الله بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ، وأكرم نزله في جنات ونعم ، وألمم أهله وأبناءه وجميع أقربائه بالصبر الجميل ، والسلوة الموسعة ، فإنه المولى العزيز الكريم ، «نعم المولى ونعم التصير» .